

بين الآثار الإسلامية في العالم

بقلم

الدكتور

محمد بن عبد العزيز بن زروق

أستاذ الآثار الإسلامية المساعد

بجامعة الإسكندرية

الإسكندرية

١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبعد فهذه جولة سريعة ونظرة عاجلة : جولة بين الآثار الإسلامية في العالم ، ونظرة الى الفن الذى يتجلى في هذه الآثار ثابته ومنقولها .

وقد قصدت بهذه الجولة وتلك النظرة أولئك الذين يعدون أنفسهم لدراسة الآثار الإسلامية ، فهم واجدون في هذه الصفحات القليلة عرضا موجزا للنواحي المختلفة لهذه المادة فيلمون بها هنا اجمالا قبل أن يدرسوها فيما بعد تفصيلا .

وقد قصدت بها أيضا الراغب في الثقافة العامة فأعطيته هنا صورا صغيرة، حرصت على أن تكون واضحة المعالم والخطوط ، للجانب المادى من حضارة أجدادنا من المسلمين يستطيع بها أن يقف على أثرهم في الصناعة وفي الفنون ، وقد تغريه هذه الجولة وتلك النظرة بمتابعة البحث فيزداد عدد الذين يعتنون بدراسة هذا الفرع من فروع المعرفة .

والله أرجو أن أكون في محاولتى هذه قد حققت ما هدفت اليه .

محمد عبد العزيز مرزوق

دراسة الآثار الإسلامية

دراسة الآثار القديمة من أبنية وتحف دراسة لم يعرفها الأقدمون ، ولم يهدفوا إليها ، بل هي ثمرة من ثمرات المدنية الأوربية الحديثة • وقد تجلت أولى خطوات هذه الدراسة أول ماتجلت في جمع التحف المختلفة التي أبدعتها الأجيال السابقة •

وقد كان العرب كغيرهم من الأمم القديمة يعنون باقتناء التحف القديمة ، ولكنهم كانوا أول من اهتم بوضع ما جمعوه في مكان معين ، وبترتيبه في هذا المكان ، فكان لهم بذلك فضل انشاء أول متحف أثرى • وخير مثال نسوقه لتأييد ذلك هو متحف الخليفة الفاطمي « ١ » المستنصر بالله « ٢ » الذي كان يعيش في القاهرة في القرن الخامس الهجري « الحادي عشر الميلادي » ، وقد توفرت في هذا المتحف أهم خصائص المتاحف الأثرية كما نعرفها اليوم ، ولم يختلف عنها الا في الغرض من انشائه ، فقد أنشأه المستنصر للمباهاة والافتخار ولم يهدف من تكوينه الى أن يجعله مكانا للدرس أو للترويح عن النفس كما هو الحال في المتاحف الحديثة « ٣ » •

(١) الفاطميون الذين منهم هذا الخليفة ينتسبون - على حد قولهم - الى السيدة فاطمة ابنة النبي محمد صلوات الله عليه وزوجة الامام علي ، وقد كانوا على المذهب الشيعي - الذي سنشير اليه فيما بعد - راجع عن تاريخ الفاطميين كتاب الدكتور حسن ابراهيم حسن « الفاطميون في مصر » (القاهرة سنة ١٩٣٢) والمراجع التي يشير اليها •

(٢) المقرئ : المواظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ص ٤٠٨ و ٤٢٥ (طبعة بولاق) ، وكنوز الفاطميين للدكتور زكي محمد حسن ص ٢٧ - ٦٥ (مطبوعات دار الآثار العربية - ١٩٣٧)

(٣) راجع بحثا عن المتاحف الأثرية ورسالتها في المجتمع للمؤلف نشر في العدد السادس (يونيه ١٩٤٤) من السنة الخامسة من مجلة الشئون الاجتماعية التي تصدرها وزارة الشئون الاجتماعية •

ولم يعرف الغربيون المتاحف الا بعد أن عرفها العرب بنحو خمسة قرون
أى قبيل القرن السادس عشر الميلادى عندما استيقظوا من سباتهم فى تلك
الفترة التى اصطلح المؤرخون على تسميتها بعصر النهضة الأوربية ، وأخذوا
ينظرون الى التراث الفنى لليونان والرومان نظرة اعجاب امتزجت فيها
عوامل التقديس التى اكتسبها هذا التراث بحكم القدم ، مع عوامل التقدير
التي استحقها لأنه من صنع أولئك الذين اتخذوهم لهم قادة فى حياتهم
الجديدة يسرون على هديهم ، وينسجون على منوالهم . وفى القرن الثامن
عشر الميلادى - فى عهد الثورة الفرنسية التى هدمت الحواجز الفاصلة بين
طبقات المجتمع الفرنسى - أصبحت قصور الملوك والأشراف بما حوته من
تحف أثرية ملكا للشعب ، وانقلب قصر اللوفر بما فيه من نفائس شتى
جمعها ملوك فرنسا فى العصور المختلفة الى متحف أهلى عظيم «(١)» ، وفى
هذا القرن بالذات بدأت الخطوة الثانية من دراسة الآثار اذ أخذ فريق من
العلماء يعنون بالبحث فى هذا التراث القديم فولد بذلك علم الآثار بين
جدران المتاحف أولا ، ثم اتسعت دائرته فشملت دراسة العمائر القديمة
ثم زادت اتساعا فاتجه العلماء الى التنقيب عن آثار الماضى فى مظان
وجودها .

ولقد أتى حين من الدهر لم تكن فيه الآثار الاسلامية شيئا مذكورا ،
ولم يكن لها بين آثار الفراعنة واليونان والرومان والساسان والبيزنطيين
وغيرها من آثار الأمم التى سبقت المسلمين أو لحقت بهم - مكانة ملحوظة ،
ولعل ذلك راجع الى أن معرفتنا بالحضارة الاسلامية كانت حتى فجر القرن
التاسع عشر الميلادى لا تتجاوز ماسجلته كتب التاريخ ، فلما ولد علم الآثار
كما بينا واستقام عوده ، وظهر التخصص فيه ، اتجه فريق من العلماء
الأوربيين الى دراسة الآثار الاسلامية ثابتها كالمساجد والقلاع والقصور

(١) عن نشأة المتاحف الأوروبية راجع :

Kenyon, 'Libraries and Museums, London, 1930, p. 54-65.

وغيرها ، ومنقولها كالتحف المصنوعة من الخزف أو الزجاج أو الخشب أو المعادن أو الطنافس أى الأبسطة ذات الخمل Pile Carpets والمنسوجات وما إليها وما يتجلى فى هذه الآثار جميعا من فن ، كما عنوا أيضا بالتنقيب على تراث المسلمين وخير شاهد على ذلك ما قام به هؤلاء العلماء من حفائر أثرية وما أخرجوه من مؤلفات قيمة وما أقاموه من معارض ومتاحف • ومنذ ذلك الحين بدأت تتجلى مكانة الفن الاسلامى بين الفنون ، وبدأت تظهر معالم الحضارة المادية التى أبدعها المسلمون أيام عظمتهم بينما نحن فى غفلة عن هذا التراث وأهميته •

على أننا منذ عشرين عاما تقريبا قد بدأنا فى مصر نعى بهذه الدراسة عناية جدية فانشئ لها بجامعة القاهرة معهد خاص يعتبر الأول من نوعه فى العالم ، هو معهد الآثار الاسلامية ، كما عنيت بتدريسها كلية الآداب بجامعة الاسكندرية •

معالم التاريخ الاسلامى

لا يمكن لدارس الآثار أن يستغنى عن التاريخ ، ففى ضوءه يستطيع أن يفهمها ، ومنه يقف على الظروف المختلفة التى أحاطت بانشائها أو بصناعتها ، وفيه قد يجد وصف ما اندثر أو تخرب منها •

ولا يستقيم فهم الآثار الاسلامية قبل معرفة معالم التاريخ الاسلامى • وأول هذه المعالم تاريخ النبى الذى أتى بالاسلام وهو محمد بن عبد الله صلوات الله عليه • ونستطيع أن نقسم تاريخه الى مراحل ثلاث : الأولى قبل بعثته ، والثانية قبل هجرته ، والثالثة بعد هجرته • وقد عاش فى الأولى والثانية فى مكة ، وعاش فى المرحلة الثالثة فى يثرب •

وأهم ما يذكر عن المرحلة الأولى سفره وهو صبى الى بلاد الشام ، ثم خروجه وهو شاب فى الخامسة والعشرين الى تلك البلاد متجرا فى مال السيدة خديجة ، ثم زواجه من هذه السيدة • ولكل من هذه الحوادث أثر لا ينكر فى حياته ، فالرحلة توقظ المواهب وتوسع المدارك • وتجارة القوافل تساعد على تكوين الشخصية فهى تحتاج الى الحزم والى المهارة فى اختيار المواضع التى يقضى فيها الليل ، والى تنظيم الحرس اللازم للقافلة ، والى معرفة الطرق التى يتوفر فيها الماء ، كما تقتقر أيضا الى الأمانة والذمة واللباقة فى معاملة الناس ، وقد دربت هذه التجارة الكثيرين من رجال قريش وأخرجت منهم عظماء اشتهروا فى الحرب وفى السياسة مثل خالد ابن الوليد وعمر بن العاص • وللزواج الموفق أثر بعيد فى حياة الانسان ، وقد كانت السيدة خديجة زوجة صالحة آمنت بالنبى لأول قيامه بالدعوة فكان ذلك أكبر مشجع له على المضى فيها وأقوى باعث على زيادة قوته المعنوية والاستمرار فيما أوقف حياته عليه •

والمرحلة الثانية كانت مرحلة كهاح مرير فى سبيل نشر الدين الجديد الذى أوحى اليه به ، وكانت المعارضة قوية ، استمدت قوتها أكثر ما استمدتها

من الناحية الاقتصادية ، ولا عجب فقد كانت قريش ترى مصلحتها في التمسك بالقديم لذلك اضطهدته وألحقت الأذى به وبمن تبعه ، وتحت ضغط هذا الاضطهاد دفع ببعض أتباعه الى الهجرة الى الحبشة ، وبعد ثلاثة عشر عاما من هذا الكفاح أسفرت دعوة النبي عن فشل ذريع واضطر الى الهجرة الى يثرب بعد أن أيقن أن قريشا لن تدخل في دينه الا مكرهة .

والمرحلة الثالثة تعد من أهم المراحل في تاريخ الاسلام ، فقد كانت هجرته الى يثرب - المدينة - علاجاً مؤقتاً للفشل الذي منيت به الدعوة في شكل جديد . واستقر المسلمون في وطنهم هذا ، واستلزمت الظروف هناك أن يصبح النبي داعياً دينياً وداعياً سياسياً أيضاً فقد أصبحت في يثرب أحزاب مختلفة : حزب المهاجرين الذين هاجروا من مكة ، وحزب الأنصار الذين نصروه من أهل يثرب ، وحزب المنافقين - ان صح أن يكون للمنافقين حزب - الذين أظهروا الاسلام وأبطنوا الكيد له ، وحزب اليهود . وكان عليه أن يحقق التجانس بين هذه الأحزاب المختلفة ، وأن يخلق منها قوة يستعين بها على نشر دعوته وتثبيت أركان دينه ، فوضع لهذه الدولة الناشئة دستوراً يجمع فيه بين المسلمين ومن يساكنهم في المدينة حتى يتعاونوا معا ، وهذا الدستور أو « الصحيفة » كما تسميه المراجع التاريخية هو دستور مدون ، وتدوينه في الحقيقة يدل على حرص شديد على التنظيم الدقيق الأمر الذي لم يكن مألوفاً في ذلك الزمن ، وأهم ما جاء فيه أنه اعتبر العرب أمة واحدة لا قبائل شتى ، فالقبائل المتعددة فقدت مقوماتها القديمة وأصبحت الآن تؤلف أمة واحدة تقف صفاً واحداً في وجه غيرها من الأمم .

واتخذ النبي مكاناً عاماً للاجتماع والعبادة فاستكملت هذه الأمة بذلك أهم مظاهر الدولة ، واتسع نطاق الدعوة عن ذي قبل فأصبحت تشمل النظم الاجتماعية والسياسية .

وهنا تقف قليلاً عند مكان الاجتماع هذا الذي أنشأه النبي أو بعبارة أخرى عند المسجد الذي أسسه في المدينة لكي يهيئ لهذه الدولة الجديدة

مكانا لاقامة شعائر الدين الجديد ، وللتشاور في أمور السياسة ، ولا ينبغي أن تنسى أن المساجد كانت ولا تزال تؤدي هذين الغرضين الى اليوم . وهذا المسجد الذي عمل النبي يديه في بنائه ، وعاونه في ذلك المهاجرون والأنصار كان بناء ساذجا يترجم في بساطته عن بساطة الاسلام ، أقيم على قطعة من الأرض مربعة الشكل وأحيطت بجدران أسسها من الحجر وقوامها من اللبن ، وكانت قبلة المصلين فيه الى الشمال تجاه بيت المقدس ، وقد أقيمت في هذه الجهة سقيفة من جريد النخل المغطى بالطين تعتمد على عمد من جذوع النخل ، وعندما تحولت القبلة الى الجنوب تجاه مكة أقيمت سقيفة أخرى في الجنوب مثل السقيفة السابقة ، وبقيت السقيفة القديمة يستظل بها فقراء المدينة من المسلمين ، وبذلك أصبح للمسجد جزء مكشوف في الوسط هو الصحن وظلتان احدهما الى الشمال والأخرى الى الجنوب ، وقد دفعت سنة التطور الى وصل ما بين هاتين السقيفتين أو الظلتين بظلتين جانبيتين احدهما الى اليمين والأخرى الى اليسار حتى تزيد مساحة الجزء المسقوف في المسجد «١» .

وكان النبي اذا خطب في المسجد وقف الى أحد أعمدته ، وكان يستند الى الجذع اذا طال به الوقت ، وفي ذات يوم رآه رجل كان قد رأى من قبل منابر الكنائس في الشام فقال : « لو أعلم أن محمدا يحمدني في شيء يرفق به لصنعت له مجلسا يقوم عليه فان شاء جلس ماشاء وان شاء قام » . وعلم النبي بذلك فأخضر الرجل وطلب اليه تحقيق ما يقترحه فصنع له منبرا من الخشب ذا ثلاث درجات «٢» . وكان المسجد يضاء ليلا ساعة صلاة

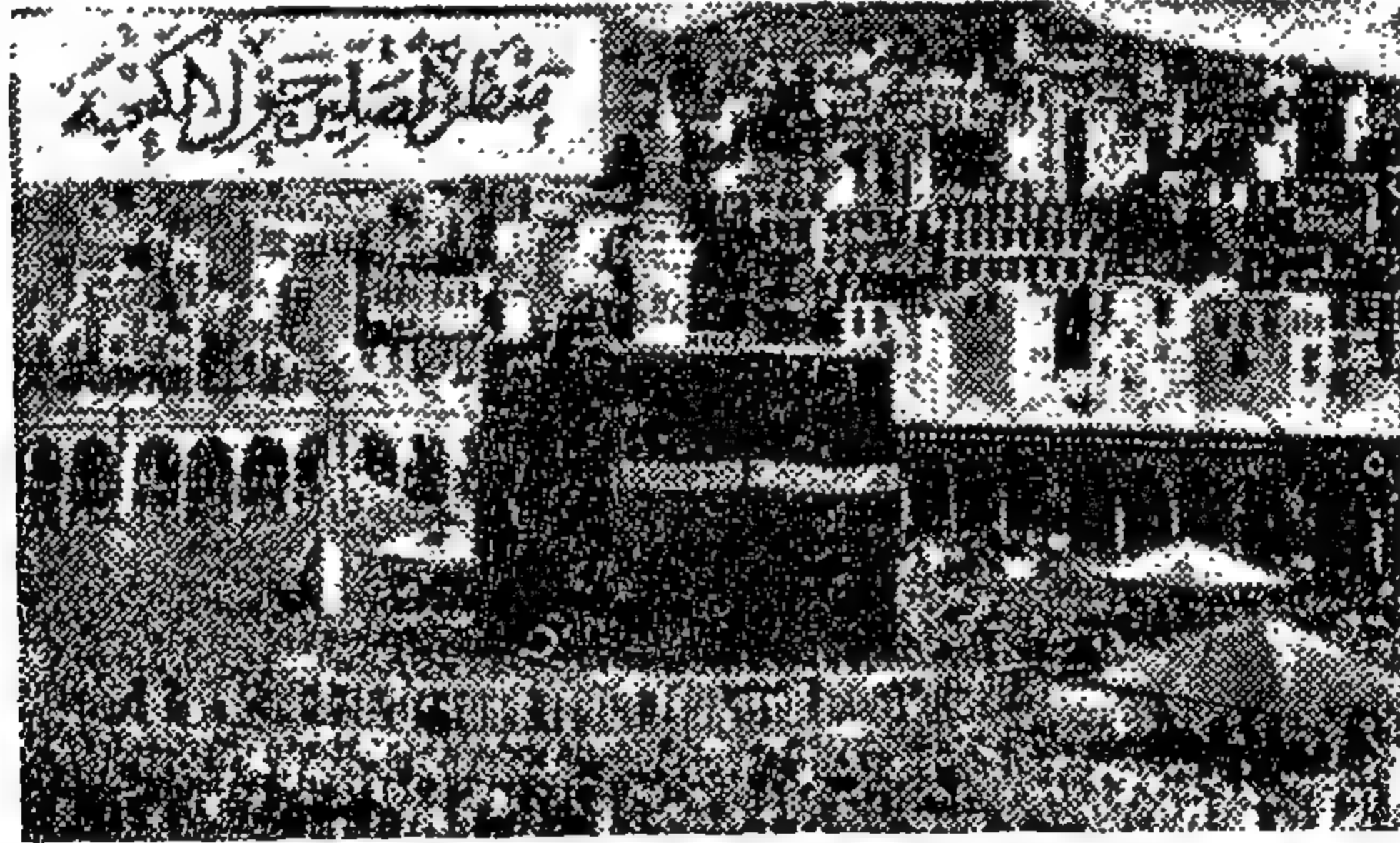
(١) أثار مسجد المدينة جدلا بين علماء الآثار الاسلامية مداره هل أنشئ هذا البناء ليكون منزلا أم ليكون مسجدا ؟ - راجع :

- A. Pederson, "Masdjid", Encyclopedia of Islam;
- B. Van Berchem, "Architecture" Encyclopedia of Islam;
- C. Creswell, Early Muslim Architecture, vol. I, p. 3-7, Oxford, 1932.
- D. محمود عكوش : المسجد الاعظم بالمدينة . نشر تباعا في مجلة الهندسة . ثم جمع في مجلد واحد .

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٤ (طبعة مصر)

العشاء فتوقد أعواد من القش لهذا الغرض ، ثم استعملت المصابيح فشددت الى جذوع النخل التى كانت تحمل سقف الظلتين •

من هذا المسجد الساذج الذى لم يبق منه اليوم الا البقعة التى شيّد عليها ، بل من هذه النواة نبئت تلك المساجد العظيمة التى يزدان بها العالم الاسلامى ، فقد اقتضت سنة التطور أن ترقى المساجد فى بنائها وأثاثها : فبنيت بالحجر ، واتخذت عمدتها من الرخام ، وظهرت فيها المحاريب الجميلة والمنابر العظيمة التى تلقى من فوقها الخطب الدينية والسياسية ، واستعملت الثريات النحاسية والزجاجية التى تبعث بأضوائها الى أرجاء المسجد ليلا ، بل وظهرت فيها أشياء جديدة لم تكن معروفة على عهد النبى مثل المقصورة التى تفصل بين الحاكم وبين غيره من المصلين وتوفر له بذلك مكانا أميناً للصلاة يحميه من اعتداء من تحدّثه نفسه بذلك ، ومثل الكرسي الذى يجلس عليه من يقرأ القرآن أو يبلغ صوت الامام الى المصلين ، ومثل الطنافس الجميلة التى تغطى أرضها بعد أن كانت مفروشة بالحصى أو الحصى •



١ — الكعبة المكرمة كما هى الآن

وأصبح النبى على رأس دولة قد اكتسبت من الاجتماع على دين واحد وحزب واحد ونظم واحدة وسلطان واحد قوة هائلة فاتجهت الى الكفاح

الخارجى ، واصطدمت أول ما اصطدمت مع مكة معقل الوثنية وخرجت من هذا الصدام ظافرة منتصرة ، ودخل الاسلام مكة وقضى على الوثنية ، وأصبحت الكعبة مقدسة فى الاسلام بعد أن أزيلت عنها الأصنام «١» وسمعت القبائل فى شبه الجزيرة العربية بهذا النصر ، واستقر فى أذهانهم أن محمدا أصبح قوة ينبغى أن يحسب حسابها ، ولما كان الحجاز هو مركزهم الاقتصادى والدينى ولا مفر لهم من الاتصال به فقد قدموا على المدينة ، ودخلوا فى الاسلام أفواجا وساد الاسلام فى شبه الجزيرة .



ومات النبى بعد أن تقل العرب فى مدى عشر سنوات ثقلة بعيدة المدى نلمس أثرها فى دينهم الجديد وفى حياتهم الاجتماعية وفى نظامهم السياسى . وانتخب بعده أبو بكر للقيام بأمر المسلمين ، واشتد شعور العرب بقوميتهم فاتجهوا صوب أولئك الذين كانوا ينظرون اليهم فى الماضى نظرة القوى الى الضعيف والسيد الى المسود ، اتجهوا صوب الفرس وصوب الروم وكان خروجهم اليهما فى أنسب الأوقات لأن الحروب والفتن كانت قد أنهكت قواهما ، وسرعان ما سقطت الدولة الساسانية « دولة الفرس » ، وسرعان ما فقدت الدولة البيزنطية « دولة الروم » معظم أملاكها . وفى الحق لقد كانت حركة الفتح هذه أمرا خارقا للعادة ، معجزا بالنسبة للعرب أنفسهم ولكنه الشعور القومى اذا استيقظ أتى بالمعجزات ، وهكذا ارتفعت أعلام الاسلام فوق فارس والعراق والشام ومصر .

(١) الكعبة بناء قائم وسط المسجد الحرام ، مربع الشكل ، يتكون من غرفة واحدة يرتفع سقفها عن سطح الأرض نحو خمسة عشر مترا ، وفى ضلعها الشرقى باب يوصل الى جوفها ويبعد عن سطح الأرض بنحو مترين ، ويوجد الحجر الأسود فى ركنها الجنوبى الشرقى من الخارج وهو يرتفع عن الأرض نحو متر ونصف ، وقد كانت أصنام العرب المعبودة فى داخل الكعبة . وبعد ظهور الاسلام أصبحت خالية من كل شئ ، ويصلى الناس بداخلها متجهين الى أى جهة من جهاتها الأربع .

وكانت هذه الدولة التي وجدت بين عشية وضحاها في حاجة الى التنظيم في ادارتها ، لأن تنظيم الادارة مانع من الفوضى وباعث على استمرار التقدم ، ولقد رزقت لحسن حظها في هذه الفترة الدقيقة من حياتها بعبقرية عمر بن الخطاب الادارية فكانت لها ضمانا من الاختلال • ولقد رأى عمر بثاقب نظره وحسن تقديره للأمور أنه أجدى على هذه الدولة الناشئة أن تثبت أركان النظم الادارية التي وجدت في البلاد التي فتحتها العرب من أن يكبد ذهنه في استنباط نظام جديد ، ولذلك نراه يبقى على هذه النظم القائمة ولا يمسها الا بقدر ما يصلح مافيه من فساد ، ولا يغير فيها الا فيما يتصل بحفظ كيان العرب • ولقد جنى الاسلام من هذه السياسة الحكيمة مغايم كثيرة : مغايم روحية ، ومغايم اقتصادية ، ومغايم فنية •

أما المغايم الروحية فتتمثل في انتشار الاسلام انتشارا عظيما دون أن تقصد الدولة الى ذلك ، وقد استتبع انتشار الاسلام انتشار اللغة العربية ، للتفقه في الدين ، فصار كل مسلم جديد يحرص على تعلم اللغة العربية حرصه على الدين ، وباتحاد عنصرى اللغة والدين تعربت البلاد ، وأعانت المصاهرة على الاختلاط ونشأ عنها جيل جديد ينسب نفسه الى العرب • وقد استتبع انتشار اللغة العربية انتشار الخط العربى الذى اتخذ أداة لرسم حروف لغات الأمم التى آثرت الاحتفاظ بلغتها الأصلية فى ظل الاسلام فكتبت به اللغة الايرانية والهندية « الأردية » والتركية وغيرها •

وأما المغايم الاقتصادية فلنلاحظها فى أن الفتح العربى لم يقطع سلسلة التقدم فى النواحي الزراعية والصناعية والتجارية ، بل احتفظت البلاد التى دخلت فى حوزة المسلمين بما كان لها من قبل من نشاط اقتصادى ، فاذا اقتصرنا على ذكر الصناعة وجدنا أن صناعة المعادن التى حذقها الفرس ، وصناعة الخزف التى كانت راقية فى العراق ، وصناعة الزجاج التى اشتهرت بها بلاد الشام والاسكندرية ، وصناعة المنسوجات التى بلغت درجة عظيمة من الاتقان فى مصر ، هذه الصناعات كلها ظلت تسير قدما فى طريق

النضوج في ظل العرب الذين تعلموها وحذقوها ، ولم يقفوا عند الحد الذي كانت عليه بل ساروا بها الى الأمام خطوات واسعة ، وسموا بها في مدارج الرقي أشواطاً بعيدة ، وارتقوا بها الى درجات سامية من الاتقان والاجادة نلمسها عندما تقارن بين ما وصل اليه من مصنوعات فجر الاسلام ومصنوعات العصور الاسلامية التالية .

وأما المغانم الفنية فتتجلى لنا في ذلك الفن الرائع الذي أوجدوه والذي سب في الفنون التي عاصرتة أو أتت بعده دوراً لاسيلاً الى انكاره ، فقد شملوا برعايتهم رجال الفن في الأمم التي فتحوها وقد استخدموهم فيما عرض لهم من أعمال تتصل بفنهم ، وعندما نضجت الملكة الفنية عند العرب أخذوا يمزجون بين عناصر الفنون التي عرفوها وصهروها في بوتقتهم ثم أخرجوا منها فناً جديداً لا يخفى علينا أصله ولكننا لانستطيع أن ننكر عليه شخصيته القوية الواضحة .

وقد اقترنت حركة الفتح العربي بانشاء الأمصار أى المدن التي أنشأها العرب في البلاد التي فتحوها وهى البصرة والكوفة في العراق والفسطاط في مصر . وقد بنيت البصرة سنة ١٤هـ والكوفة سنة ١٧هـ : بنيتا بالqvب أولاً ثم باللبن ، وكان أول ما بنى فيهما المسجد وهذا أمر طبيعى لأن المسجد كما ذكرنا من قبل هو المكان الذى تبرم فيه أمور الدين والدنيا . وكانت فى مسجد الكوفة سقيفة ولكنها محمولة على عمد من الرخام نقلت الى المسجد من بناء قديم مهدم كان فى مدينة الحيرة «١» . واستخدام الأعمدة القديمة فى بناء جديد ظاهرة معمارية جديدة سار فيها العرب على النهج القديم الذى كان يسير عليه الرومان من قبلهم اذ كان هؤلاء ينقلون العمدة اليونانية من المعابد القديمة الى معابدهم ولا يكلفون أنفسهم مشقة عمل عمد جديدة ، فنسج العرب على هذا المنوال وآثروا استعمال عمد الكنائس والمعابد المهتمة المهجورة فى مساجدهم على أن يصنعوا عمداً جديدة . وفى سنة عشرين

(١) تاريخ الطبرى ص ٢٤٨٩ من القسم الاول (طبعة ليدن)

بعد الهجرة بنيت القسطنطينية في مصر وخطط فيها مسجد عمرو الذي يعتبر أقدم المساجد فيها ، وقد ضاعت معالمه القديمة ولم يبق منه الا الأرض التي شيّد عليها ، ولكن المؤرخين قد أمدونا بصور متعاقبة له تبين منها ما حدث في تصميمه وزخرفته من تغيرات ، وهكذا يتعاون علم التاريخ مع علم الآثار فيحفظ الأول ما أتت عليه عوامل القدم أو الإهمال ، ويبقى الثاني على ما أهمل ذكره المؤرخون .

ولكن العرب لم يسكنوا الأمصار التي أسسوها فحسب ، بل نزلوا أيضا في المدن القديمة ، وفي هذه المدن كان يحولون بعض المعابد والكنائس الى مساجد ، وآثار هذا التحويل لازالت واضحة في المسجد الجامع بمدينة حماة «١» ، وفي بعض الأحيان كانوا يقتسمون أكبر الكنائس مع المسيحيين فيأخذون نصفها ويتركون لهم النصف الآخر ، والمسجد الأموي في مدينة دمشق مثال لذلك ، فقد كان في أول أمره معبدا وثنيا ، ولا يزال سور هذا المعبد قائما حتى اليوم ، ثم بنى المسيحيون داخل هذا السور كنيسة عظيمة ، ثم جاء المسلمون واتفقوا على أخذ نصف هذه الكنيسة وجعلوا من هذا النصف مسجدا لهم ، ثم زاد عدد المسلمين وضاق بهم هذا المسجد فاتفقوا مع المسيحيين على أن يتركوا لهم نصفهم لقاء تعويض سخى ، وهدموا هذه الكنيسة كما هدموا المسجد وبنوا مسجدا عظيما يشمل كل المساحة الواقعة داخل أسوار المعبد القديم . ولقد كان من أثر تحويل بعض المعابد والكنائس الى مساجد أن العرب نقلوا الى مساجدهم من عناصر هذه الأبنية القديمة ما وجدوه ملائما ومتفقا مع شعائر دينهم ، وليست المثذنة في الواقع الا واحدا من تلك العناصر ، فقد رأى العرب في أسوار معبد دمشق القديم الذي أشرنا اليه صوامع مربعة الشكل قائمة في الزوايا الأربع لسور المعبد ، ومرتفعة قليلا عن مستواه ، ووجدوا في هذه الصوامع مكانا مناسباً لكي يدعى منه المسلمون للصلاة فاستخدموها لهذا

(١) Creswell, op. cit., vol I, p. 14.

الغرض ، ولاتزال حتى اليوم كلمة « صومعة » تطلق في بلاد المغرب على المئذنة ، بل ولا يزال شكل المآذن في تلك البلاد على الخصوص مربعا كما كان الحال في صوامع المعبد القديم في دمشق «^١» .

وقتل عمر بن الخطاب ثم قتل عثمان بن عفان الذي اتسعت في عهده الدولة الإسلامية اتساعا كبيرا ، وقد كانت العاصمة طوال العهد السابق في المدينة المنورة ، ثم قتل الخليفة الرابع على بن أبي طالب الذي اتخذ الكوفة عاصمة له وقد انتهت بموته دولة الراشدين التي غلبت على خلفائها الخشونة في العيش والتقلل في الملبس والمطعم ، ولم يكن ذلك عن فقر — لأن كلاً منهم كان صاحب ثروة عظيمة — ولكنهم فعلوا ذلك مواساة لفقرائهم ، وكسرا لشهوة نفوسهم ، أما ثرواتهم الضخمة فكان أكثر انفاقها في وجوه البر والخير «^٢» .



وجاءت الدولة الأموية الشرقية « ٤١ — ١٣٢ هـ » بعد دولة الراشدين ، واتخذت دمشق عاصمة لها ، واتسعت في أيامها رقعة الامبراطورية الإسلامية الى ضعف ما كانت عليه من قبل اذ نزل العرب حوض السند ، ثم نزلوا في اقليم ما وراء النهر الواقع بين نهري سيحون وجيحون ووصلوا الى وسط آسيا ، وأخذ الاسلام يزحف الى الصين ، وسار العرب غربا بعد أن فتحوا مصر فاستولوا على شمال أفريقية وزحفوا منها الى الأندلس وأصبحت امبراطوريتهم تمتد من المحيط الأطلسي غربا الى الهند وآسيا الوسطى شرقا . وقد أسس العرب خلال هذا التوسع مدينتين جديدتين هما القيروان في تونس سنة خمسين بعد الهجرة ، وواسط في العراق سنة ثلاث وثمانين وكلاهما أرقى من البصرة والكوفة والفسطاط التي أسست من قبل .

(١) Creswell, op. cit., vol I., p. 38, 39, 104.

(٢) ابن الطقطقي : الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ص ٦٦ (طبعة مصر سنة ١٣١٧ هـ)

وكان العرب قبل الاسلام يتعاملون بنقود الفرس والروم وكانت
نقود الفرس هى الدراهم الفضية ونقود الروم هى الدنانير الذهبية .
وقد ضرب عمر بن الخطاب الدراهم الاسلامية على نقش الدراهم الفارسية
وزاد فيها عبارة « الحمد لله » أو « محمد رسول الله » أو « لا اله الا الله
وحده » . ولما جاء عثمان كانت الزيادة « الله أكبر » . وكان شكل الدراهم
غليظا قصيرا كما يقول المقرئى حتى جاء عبد الله بن الزبير فكان أول من
ضرب الدراهم المستديرة ، وقد نقش على أحد وجهيها « محمد رسول الله »
وعلى الوجه الآخر « أمر الله بالوفاء » (١) . وقد ظل التعامل بالنقود
الرومية والفارسية قائما حتى عصر عبد الملك بن مروان الذى كان أول من
ضرب النقود الاسلامية الخالصة التى لا نصيب فيها لنقوش الفرس أو الروم
وكان ذلك فى سنة ست وسبعين بعد الهجرة ، وقد هدد بقتل كل من يتعامل
بغير النقود الاسلامية ، وبعث بالسكة أى الحديد المنقوشة التى تضرب
عليها الدراهم والدنانير الى أرجاء العالم الاسلامى لتستخدم فى عمل
النقود ، وقد نقش على أحد وجهي الدرهم أو الدينار « لا اله الا الله وحده
لا شريك له » ، وعلى الوجه الآخر « الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد »
وطوقهما بالآية الكريمة « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله » وعلى الوجه الآخر « بسم الله ضرب هذا الدينار
(أو الدرهم) فى سنة » (٢) . أى أن عبد الملك كان أول من
اتخذ عملة رسمية من الذهب ومن الفضة لا يجوز التعامل بغيرها ، ويلاحظ
أن الخلفاء الأمويين لم يثبتوا أسماءهم على النقود التى ضربت فى عصرهم
واكتفوا بذكر التاريخ ، وتعتبر العملة الاسلامية من أهم مصادر التاريخ
الاسلامى لأنها كثيرا ماتعاون الباحث على تحقيق مايعرض له من وقائع

(١) المقرئى : النقود القديمة الاسلامية - نشر الاب انستاس الكرملى
ص ٣١ - ٣٣ (القاهرة ١٩٣٩)

(٢) المرجع السابق ص ٣٤ - ٣٦

تاريخية «١» • وازداد اقبال العرب على الحياة المدنية واضطربهم هذا الى تعريب الدواوين ، فقد ظلت لغة الدواوين غير عربية الى أن ولى الوليد ابن عبد الملك عرش الخلافة فعربها ، ولم يكن الانتقال الى اللغة العربية دفعة واحدة بل مر العرب بفترة استعملت فيها اللغتان الوطنية والعربية معا، ولم ينته عهد الدولة الأموية حتى ذاع استعمال اللغة العربية في المكاتب الرسمية •



وسقطت الخلافة الأموية بعد أن سلمت شعلة الحضارة الاسلامية الى الخلافة العباسية التي استمدت اسمها من العباس عم النبي صلوات الله عليه والجد الأعلى لأول خلفاء هذه الدولة أبى العباس عبد الله المعروف بالسفاح • وقد تعقب العباسيون أمراء بنى أمية وقتلوهم حتى أفنواهم الا أميرا واحدا استطاع أن يفر الى أفريقية ومنها الى أوربا وسوف يكون له شأن آخر سنتحدث عنه فيما بعد • ولن نبث هنا في أسباب سقوط الأمويين وقيام العباسيين بالتفصيل انما لابد أن نشير الى أمر واحد هو أن الأمويين جعلوا للعرب مكان الصدارة في كل شيء ووضعوا الأمم التي دخلت في الاسلام في المحل الثاني من الأهمية مهما كانت مقدرتهم ، وقد أفادتهم هذه السياسة في بادئ الأمر فأمنوا شر الفتن ولكنها كانت في آخر الأمر من عوامل سقوطهم ، أفادتهم عندما حفظت عليهم كياناتهم أمام تلك الشعوب المختلفة التي أخضعوها وجعلت لهم قوة تخشاها هذه الشعوب ثم أسقطتهم عن عرشهم عندما ضعفوا في أواخر أيامهم ، ورأت تلك الأمم المغلوبة أن الفرصة قد سنحت لظهور سخطها على الأمويين ، ووجدت في أهل بيت النبي الذين كانوا يطمعون في الخلافة معينا لهم في حركتهم ، كما وجد أهل البيت في هذه الأمم المغلوبة وخاصة الفرس قوة يحققون بها آمالهم ، وهكذا تعاون الطامعون في الخلافة مع الناقمين على الأمويين من الفرس

(١) Lane - Poole, Catalogue of Arabic Coins in Khedivial Library at Cairo, 1897.

وأسقطوا الدولة الأموية • وحرص العباسيون على جعل الوراثة حقاً ثابتاً للفرع العباسي دون الفرع العلوي من أهل البيت على أساس أن الخلافة ميراث شرعي عن النبي ، وأنه حين توفي كان الوارث له عمه العباس لأن البنات لا تتولى الخلافة (١) • كما حرصوا أيضاً منذ البداية على أن يصبغوا هذا الميراث بصبغة مقدسة فقالوا ان الخليفة يستمد سلطانه من آبائه الخلفاء ، من النبي ، من الله ، وأنه لذلك يعتبر ظل الله في أرضه ، وبهذه الأسطورة حالوا بين الخلافة وبين السقوط عندما ضعفت وآل سلطانها الفعلي الى المتغلبين عليها من أمراء الجيش وغيرهم ، وبفضل هذه الأسطورة أيضاً خلقوا في نفوس الناس هبة الخلافة فطال عمرها ما يزيد على خمسمائة عام (١٣٢ - ٦٥٦ هـ) أي خمسة أضعاف عمر الخلافة الأموية السابقة تقريباً •

وقد بدأت الخلافة العباسية قوية ، واختار عبد الله السفاح اقليم العراق ليكون مقراً لها لأنه أقرب الى ايران صاحبة الفضل الأول في تكوين هذه الخلافة ، ثم هو الى ذلك يعد واسطة العقد بين العنصرين الرئيسيين اللذين تتألف منهما الدولة الاسلامية : العنصر السامي (العرب) والعنصر الآري (الفرس) ، وقد اتخذ مدينة الكوفة عاصمة له في أول الأمر ثم انتقل منها الى الهاشمية التي أنشأها بالقرب من الكوفة ، ثم جاء الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور وأسس بغداد •

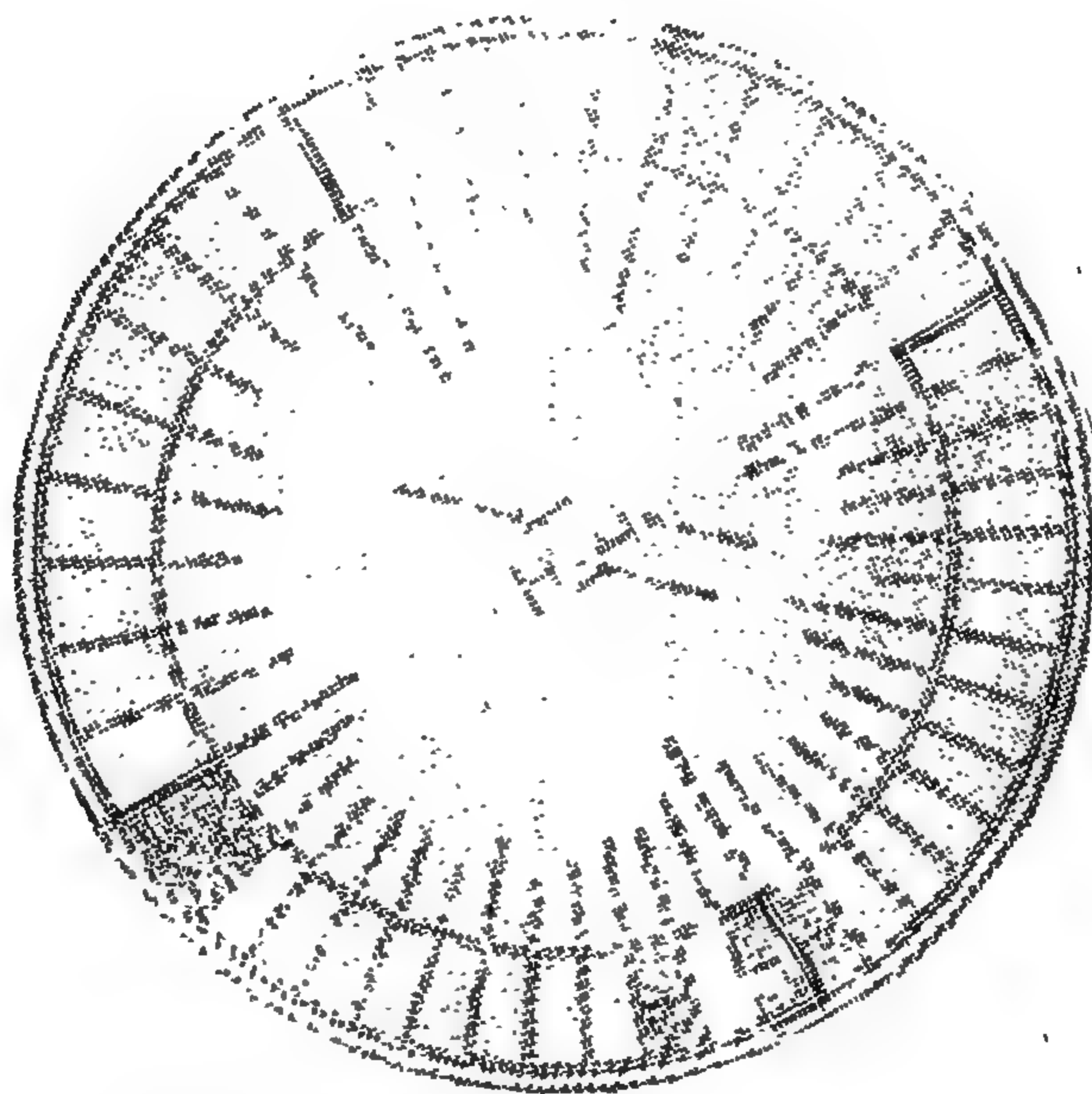
وقصة بناء بغداد هي في الواقع صفحة فخار في سجل الحضارة الاسلامية ، واذا قارننا بين ما اتبعه العرب في تخطيط البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان وواسط ، وبين ما اتبعوه في تخطيط هذه العاصمة الجديدة لتبين لنا مدى التطور العظيم الذي طرأ عليهم ، فقد استدعى المنصور المهندسين وأفضى اليهم برغبته في بناء عاصمة للملكه يكون فيها في مأمن من الفتن ، ثم

(١) كان للنبي عثمان : أبو طالب وقد أنجب علياً زوج فاطمة ابنة الرسول والعباس وقد أنجب عبد الله وعلي ومحمد وهذا الأخير أنجب بدوره إبراهيم وعبد الله المعروف بالسفاح وأبو جعفر المنصور ، وأول الخلفاء العباسيين هو السفاح سالف الذكر •

أمر بتجديد الصناعات والبنائين والمساحين من أنحاء مملكته الواسعة ، وطلب أن تخطط له المدينة على الأرض فخططت بالرماد ثم وضعت على تلك الخطوط كرات من القطن وصب عليها النفط وأشعلت النار فيها بغية إبرازها بشكل واضح ، وعرف المنصور رسمها ثم أمر بحفر أساسها وبدىء في ذلك سنة خمس وأربعين ومائة بعد الهجرة ، وفي العام التالي نزلها المنصور ونقل إليها دواوين الدولة وسماها مدينة السلام أو دار السلام ولكنها ظلت تعرف باسمها الفارسي القديم «بغداد» الذي يعنى «عطية الله» . وقد كانت من قبل قرية تقوم فيها للفرس أسواق عظيمة للتجارة ، وعندما بدأ العرب في غزو العراق أيام أبى بكر قصدت إليها جيوشهم بقيادة خالد بن الوليد وهرب أهلوها تاركين وراءهم أمتعتهم التي غنمها المسلمون «١» . وتعتبر مدينة بغداد من أبداع النماذج التي تسترعى النظر في تخطيط المدن ، فقد كانت مستديرة يحف بها من الخارج خندق عميق يقوم بعده الى الداخل سور به أبراج ، ومن وراء هذا السور سور آخر فيه أيضا أبراج كبيرة وصغيرة ، ثم الى الداخل بعد ذلك سور ثالث أعلى من السورين السابقين وأعظم منهما سمكا وهو يحيط بالرحبة المركزية للمدينة . والجزء الفاصل بين السورين الأولين (المشرف على الخندق والذي يليه) خال من الأبنية ليسهل مهمة الدفاع عن المدينة ، أما الجزء الفاصل بين السور الثاني والثالث الذى يحيط بالرحبة فتقوم فيه منازل السكان وتجرى بينها الطرقات كأنها برامق العجلة ولكل طريق منها اسم خاص ، مستمد من أسماء بعض أصحاب الدور والبساتين . وكان للمدينة أربعة أبواب : باب الكوفة ، وباب البصرة ، وباب خراسان ، وباب الشام . وقد جعل المنصور على كل باب منها قائدا في ألف رجل ، كما جعل لكل من هذه المداخل الأربعة بابا عظيما من الحديد لا يفتح إلا جماعة من الرجال ، وكان ارتفاع هذه الأبواب يقرب من خمسة أمتار لأن الفارس كان يدخل منها

(١) لسترانج «Le Strange» : بغداد في عهد الخلافة العباسية - ترجمة بشير يوسف فرنسيس ص ١٩ و ٢٠ (العراق ١٩٣٦)

بالعلم ، والرامح بالرمح الطويل من غير أن يميل العلم أو ينثنى الرمح ، ويمتد من كل باب من هذه الأبواب الأربعة طريق يوصل الى الرحبة الوسطى ، وكان فوق كل باب مجلس مغطى بقبة عظيمة ذاهبة في السماء وعلى رأس كل قبة تمثال تديره الريح لا يشبه نظائره . وفي وسط الرحبة المركزية يقوم قصر الخليفة الذي يعرف بقصر باب الذهب والذي تتوسطه قبة عظيمة خضراء عالية ترى من أطراف بغداد ، على رأسها صنم على صورة فارس في يده رمح يدور مع الريح حيثما دارت . وإلى جوار القصر يقوم المسجد الجامع ، ولم يكن يجاور القصر والمسجد بناء إلا دار الحرس وسقيفة كبيرة تقوم في الجهة الشمالية بالقرب من باب الشام ويجلس تحتها صاحب الشرطة وصاحب الحرس «١» .



٢ — تخطيط بغداد القديمة عن كرسول

(١) Creswell, op. cit. vol. II p. 4-30.

وقد ظلت بغداد عاصمة للعالم الاسلامى خمسمائة عام فيما خلا فترة تبلغ خمسة وخمسين سنة انتقلت فيها العاصمة الى مدينة « سر من رأى » التى سنتحدث عنها فيما بعد .

والذى يؤسف له أن هذه المدينة قد ضاعت معالمها اليوم ، على أن الذى يعوضنا عن هذه الخسارة ما انتهى الينا من المراجع التاريخية التى بفضلها عرفنا تصميمها ووقفنا على حضارة المسلمين فيها . وقد أفسح العباسيون المجال أمام الشعوب المغلوبة فسوا بينها وبين العرب فى كل شىء ، وكان من أثر هذه المساواة حدوث انقلاب عظيم فى الحياة الاجتماعية والفنية ، فالواقع أن هذه الأمم المغلوبة على أمرها عندما سمت مكائتها الاجتماعية الى مستوى العرب ارتفعت معها تقاليدها ومناهجها فى الحياة ، ونظر الناس اليها نظرة تقدير و إعجاب ، ولما كان سلطان الفرس عظيما اذ بفضلهم قامت هذه الدولة ، فقد أقبل الناس على الحياة الفارسية يقلدونهم فى شتى نواحيها ، واندفعوا يصيرون الشىء الكثير من أسباب الترف الذى عرف عن الفرس ، ووفروا لأنفسهم وسائل المتعة والدعة ، وبالغوا فى اعداد الموائد وتفننوا فى ألوان الطعام ، ورفلوا فى فاخر الثياب ، واحتفلوا بالأعياد الفارسية والاسلامية على السواء ، ولم يتركوا متعة من متع النفس أو لذة من لذات الحس الا أخذوا منها بالنصيب الأوفى ، وكتب الأدب والتاريخ حافلة بما يصور لنا هذا التغير الاجتماعى ، ولعل خير ما يعطينا صورة واضحة لهذه الحياة ويدلنا على مدى التأثق فى العيش كتاب « الظرف والظرفاء » الذى ضمنه أبو الطيب محمد بن اسحق بن يحيى الوشاء — أحد أئمة الأدب فى القرن الثالث الهجرى — قواعد السلوك وقوانين اللياقة فى المجتمع الاسلامى فى تلك الحقبة من الزمن التى بلغت فيها الحضارة الاسلامية غاية نضجها . ومما قفز بالحضارة المادية الى الأمام خطوات واسعة تركيز السلطة الفعلية للدولة فى يد الوزير بعد أن كانت مركزة فى يد الخليفة أيام الأمويين ، فالوزير الآن هو كل شىء أما الخليفة فقد تخفف من أعباء الحكم وانصرف الى حياة الدعة فى القصور ، واتخذ

لنفسه حاشية كبيرة من العبيد والجواري اللائي كان لهن أثر بعيد في ترقية الذوق الفني ، وفي اذكاء الشعور بالجمال ، وفي تقدم الفنون الجميلة . وقد استتبع هذا اللون من الحياة التفتن في ابتداع السلع المختلفة التي تستلزمها هذه الحياة المترفة من ملابس وطنافس وحلى وكؤوس وأوان وطرائف ، ولقد نسج الوزراء والأغنياء على منوال الخلفاء ، وسارت على هذا النهج أيضا الطبقة الوسطى من الشعب بقدر ماسمحت به لها مواردها .

وانقضى العصر الأول للدولة العباسية بوفاة المأمون ، وبدأ عصر جديد اصطلاح على تسميته بالعصر التركي نظرا لتسلط الأتراك «١» على الخلافة، وقد نجح العرب في اخضاعهم في عصر الدولة الأموية «٢» واتخذوا منهم بعد اخضاعهم حلفاء استعانوا بهم على حماية الحدود الشرقية للامبراطورية الاسلامية ، واعتنق الأتراك الاسلام وارتفعت مكاتبتهم الاجتماعية بعد اعتناقهم له الى مرتبة العرب والفرس ، وقد وجد فيهم الخلفاء العباسيون جنودا أقوياء أبرياء من نزعة الاعتزاز بالقومية التي كانت غالبية على الفرس والتي كانت تهدد كيان الدولة ، فاستخدمهم المأمون ، واستكثر المعتصم من شرائهم وكان معظم الجيش المركزي للخلافة على عهده منهم أما الجيوش العربية فقد استغنى عنها وأسقط العرب من الديوان . وقد ترتب على كثرتهم هذه انشاء مدينة «سر من رأى» التي سوف نجوس خلالها بعد قليل ، والتي أصبحت عاصمة للخلافة العباسية مدة من الزمن ، ثم عاد الخلفاء الى بغداد وازدهرت فيها الحضارة المادية من جديد وخير مايشهد بذلك «دار الشجرة» التي أنشأها المقتدر في قصر الخلافة ببغداد والتي استمدت اسمها من شجرة

(١) الأتراك قبائل شتى منهم النازلون فيما وراء النهر حتى حدود الصين الشمالية وهم الذين نتحدث عنهم هنا ، ومنهم الأتراك السلاجقة وسندكرهم بعد قليل ، ومنهم المغول الذين أسقطوا الخلافة العباسية في القرن السابع الهجري ، ومنهم الأتراك العثمانيون الذين استقروا في آسيا الصغرى ثم استولوا على القسطنطينية وقضوا على الدولة البيزنطية في القرن التاسع الهجري .

(٢) راجع ص ١٥ .

مصنوعة من الفضة في وسط بركة كبيرة ، وكان للشجرة ثمانية عشر غصنا لكل غصن فروع كثيرة مكللة بأنواع الجواهر على شكل الثمار ، وعلى الأغصان أنواع من الطيور من الذهب والفضة اذا مر الهواء عليها أبانت عن عجائب من أنواع الصغير والهدير ، وعن يمين البركة تماثيل لخمس عشرة فارسا على خمسة عشر فرسا ومثلها عن يسارها وقد ألبسوا أنواع الحرير وفي أيديهم المطارد ويتحركون على خط واحد فيظن أن كل واحد منهم الى صاحبه قاصد «١» .

ودخلت الدولة العباسية في دور الضعف ، وفقدت سلطانها السياسي على معظم ممتلكاتها ، وانقسمت امبراطوريتها الى دويلات كثيرة بعضها يعترف لها بالولاء الاسمي وبعضها مستقل عنها ، ويرجع هذا الانقسام الى ضعف شخصية الخلفاء العباسيين ، والى استيقاظ روح القومية ، والى بعد مركز هذه الدويلات عن الخلافة . ويلاحظ أن ضعف الخلفاء في العصر التركي قد حمل الأتراك على الاستبداد بهم فكانوا يعزلونهم ويولونهم ويعذبونهم ويقتلونهم ، وقد اضطر الخليفة المستكفي بالله أن يستنجد بأسرة فارسية هي أسرة بني بويه فخفت لنجدته وبدأ بذلك عصر جديد عاد فيه النفوذ للفرس بعد أن كان قد ضعف في العصر التركي .

وبنو بويه على المذهب الشيعي ، وكلمة « الشيعي » تستحق أن نقف عندها قليلا لنعرف المقصود منها ، وهذا يتطلب منا أن نرجع الى الوراثة الى عصر وفاة النبي ، فقد انقسم المسلمون الى فريقين : فريق الشيعة وكانوا يرون أن أهل البيت أحق بالخلافة ، ولما كان على هو زوج السيدة فاطمة ابنة الرسول فقد كان في نظر هؤلاء أحق بالخلافة من سواه فهم اذن شيعة على . ثم فريق أهل السنة وكانوا يرون أن الخلافة حق لأي مسلم

(١) لسترايج : بغداد في عهد الخلافة العباسية ترجمة بشير يوسف فرنسيس ص ٢١٨ و ٢١٩ . ومتر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري - ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ص ١٨٢ ج ٢ - (مصر ١٩٤٠)

تتوفر فيه الشروط المقررة لها ، وفشل الفريق الأول ونجح الفريق الثانى ، وأصبح أبو بكر ثم عمر ثم عثمان خلفاء كما رأينا ، وكنتم الشيعة أمرهم ان طوعا وان كرها ولم يجاهرُوا بخصامهم للنظام القائم ، وفى عهد الدولة الأموية قتل الحسين بن على بالقرب من مدينة كربلاء فى العراق فى العاشر من المحرم سنة احدى وستين هجرية، وقد هزت هذه الحادثة العالم الاسلامى هزا عنيفا اذ جعلت التشيع لأهل البيت مذهباً دينياً مناهضاً للمذهب السنى يتربص به ويسعى للقضاء عليه ، كما أثارت فى النفوس شعوراً قويا استغل لتقويض دعائم الخلافة الأموية ، ومنذ حادثة كربلاء أصبحت الشيعة تعارض كل من حكم من غير أبناء على ، فوجهت المعارضة أولا الى الأمويين وثانيا الى العباسيين لأنهم لم يكونوا من ذرية على وفاطمة . وقد كان العراق هو الموطن الأول للتشيع ثم انتشر منه الى بقاع كثيرة من العالم الاسلامى وأصبح المذهب الرسمى فى ايران منذ أوائل القرن العاشر بعد الهجرة . ويحاول بعض المستشرقين أن يفرق بين الشيعة وأهل السنة فى موقف كل منهما من بعض مظاهر الفن الاسلامى كالتصوير «^١» ، وهذا خطأ يّجب التنبيه عليه لأن كلا من هذين المذهبين ينظر الى هذه المسائل الفنية نظرة واحدة ، والخلاف الجوهرى بينهما انما يدور حول شخص الخليفة وما يتصل بهذا المنصب .

وكما استنجد الخليفة المستكفى بأسرة بنى بويه الفارسية لتنقذه من استبداد الأتراك فقد استنجد الخليفة «^٢ القائم » بالأتراك السلاجقة لى ينقذوه من استبداد بنى بويه ، وقد لبى طغرل بك زعيم السلاجقة هذه الدعوة واستولى على بغداد وقضى على بنى بويه ، وبدأ بذلك عصر جديد للخلافة العباسية هو العصر السلجوقى أو العصر التركى الثانى . وقد خلع الخليفة على طغرل بك لقباً جديدا هو «^٣ السلطان » وقد شاع التلقب به منذ ذلك الوقت للدلالة على من بيده القوة . وقد وحد السلاجقة الشرق الاسلامى تحت حكمهم وشملت مملكتهم خراسان والعراق وشمال الشام

(١) Arnold, Painting in Islam, p. 11-15. Oxford, 1928.

وآسيا الصغرى وبلاد العرب ، وظلت مجتمعة حتى مات السلطان سنجر سنة اثنتين وخمسين وخمسماية هجرية وتولى الحكم بعده سلاطين ضعاف انقسمت في عهدهم الدولة الى فروع عدة استقل كل فرع منها عن الآخر ، ومن أشهر هذه الفروع فرع العراق وفرع الشام وفرع آسيا الصغرى ، وضعف فرع العراق وضعفت بضعفه الخلافة العباسية وأغارت عليها قبائل المغول وأخمدت أنفاسها وأزالوها من بغداد سنة ست وخمسين وستماية بعد الهجرة .

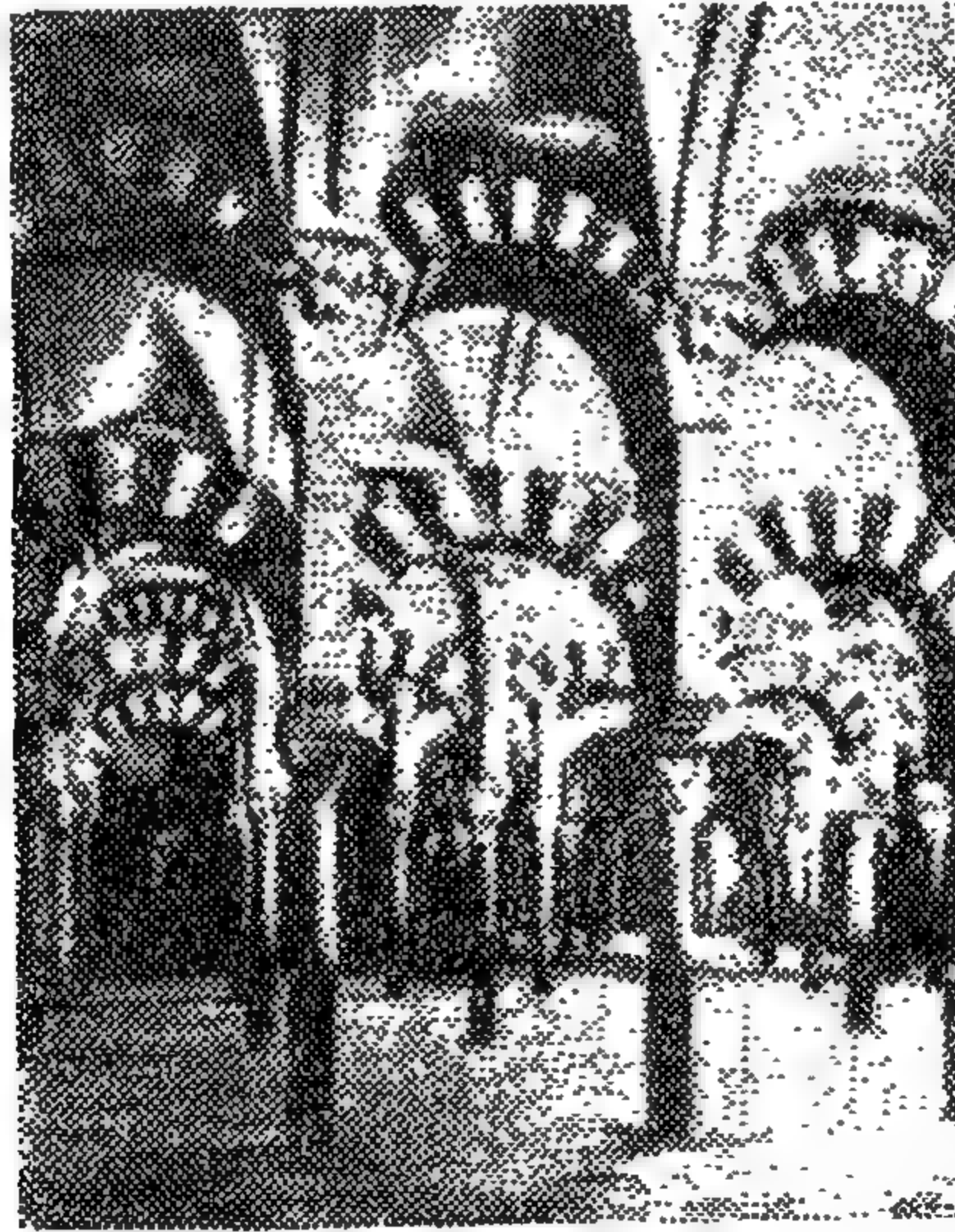
جولة بين الآثار الاسلامية في العالم

بعد هذه الكلمة الموجزة عن معالم التاريخ الاسلامى نستطيع أن نخرج في رحلتنا السريعة الى العالم الاسلامى نذرعه من غريبه الى شرقيه ونجوس فيه خلال الآثار الاسلامية التى أفلتت من يد الزمن .

في الاندلس

وبلاد الأندلس هى أقصى ما ملكه المسلمون فى الغرب وقد فتحوها سنة اثنين وتسعين بعد الهجرة على يدى طارق بن زياد الذى خلّد اسمه على الصخرة الرابضة الى الجنوب ، وقد هاجر اليها الأمير الأموى عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام الذى فر من وجه العباسيين كما ذكرنا من قبل ، وقد أفلح هو وخلفاؤه فى تكوين دولة عظيمة فى الأندلس اتخذت من مدينة قرطبة عاصمة لها ، ووصلت البلاد فى عهدها الى ذروة التقدم وارتفع مستوى الحياة فيها الى مستوى بغداد فى أيام عظمتها . ثم ضعفت الخلافة الأموية واستقل كل أمير بما كان فى يده من ولايات فقامت فى البلاد عدة دويلات عرف عصرهم بعصر ملوك الطوائف ، وعلى الرغم من الانحلال السياسى الذى تجلى فى هذا العصر فانه يعتبر من أزهى عصور الحضارة الاسلامية لأن كل أمير كان يعمل جاهدا على منافسة قرطبة فى النواحي الفنية ، ويكفى أن نشير لتأييد ذلك الى القصر الذى شيده فى طليطله Toledo المأمون بن

ذى النون ، وقد ضاعت معالمه اليوم ولكن المقرئ^(١) قد احتفظ لنا بوصفه اذ يقول أنه كانت فى وسطه بحيرة وفى وسط البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب ، وقد جلب المهندسون الماء على رأس القبة بتدبير محكم ، فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها فتصبح قبة الزجاج فى غلالة من ماء ، والمأمون قاعد تحت القبة لا يمسه من الماء شئ وتوقد فيها الشموع فيرى لذلك منظر عجيب . ثم ظهرت على مسرح الأندلس دولة المرابطين ومن بعدهم دولة الموحدين ، وكلاهما قام فى بلاد المغرب أولا وبينهما تشابه كبير، فقد وضع أساس كل منهما داعية دينى التف حوله خلق كثيرون آمنوا بدعوته وتحمسوا لها ودفعهم حماسهم للغزو فكونوا دولة عظيمة كان مسرحها بلاد المغرب ثم ضمت الأندلس الى أملاك كل منهما ، ولم تطل مدة المرابطين فى الحكم كما طالت مدة الموحدين ، وبفضل المرابطين انتقلت الحضارة الأندلسية الى بلاد المغرب ، وبفضل الموحدين تأثر الفن الأندلسى



٣ — مسجد قرطبة من الداخل (الأندلس)

(١) المقرئ : نفح الطيب من غصن الأندلس وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ج ٤ ص ٢٨٣ و ٢٨٤ (طبعة دار المأمون سنة ١٩٣٦)

بكثير من المؤثرات الأجنبية عليه . ثم تقلصت دولة العرب في الأندلس وانكمشت في اقليم غرناطة التي كان يحكمها بنو الأحمر ، وأخيرا طرد العرب من البلاد بعد أن تركوا وراءهم آثارا عدة تشهد بحضارتهم السامية من أشهرها المسجد الجامع بقرطبة ، وأطلال مدينة الزهراء التي كشفت عنها الأبحاث الأثرية سنة ١٩١٤ ، والتي تستحق منا أن نقف عندها قليلا لأن قصة انشائها تضيف الى سجل الحضارة الاسلامية صفحات فخار .

وقد بنى هذه المدينة عبد الرحمن الناصر استجابة لرغبة جاريته الزهراء سنة خمس وعشرين وثلثمائة ، وجند لها كل ماوصلت اليه يداه ، فأوقف على العمل في عمارتها عشرة آلاف رجل وجلب لها من روما والقسطنطينية وأفريقية أعمدة الرخام المختلف الألوان التي بلغت عدتها أربعة آلاف وثلثمائة وستة عشر عامودا ، وأقام في قصر المؤنس حوضا من الرخام جلبه من القسطنطينية وزينه بنقوش مذهبة بها صور آدمية ، وجعل عليها تماثيل مختلفة من الذهب المرصع بالدر صنعت في دار الصناعة بقرطبة ، وجعل سقف قصر الخلافة وجدرانه من الرخام ذي الألوان الصافية ، وقراميده من الذهب والفضة ، وأنشأ في وسطه صهريجاً عظيماً مملوءاً بالزئبق ، وجعل للقصر في كل جانب من جوانبه ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والأبنوس المرصع بالذهب ، وقامت هذه الحنايا على أعمدة من الرخام الملون والبللور الصافي وكانت الشمس تدخل من تلك الأبواب فيضرب شعاعها جدران القصر فيصير من ذلك نور يأخذ بالأبصار ، وقد اتخذ الناصر في هذه المدينة محلات للوحش فسيحة الفناء متباعدة السياج ، ومسارح للطير مظلة بالشباك . واتخذ فيها دورا لصناعة آلات الحرب والحلى وغير ذلك من المهن «١» .

ومن آثار الموحدين بالأندلس مئذنة المسجد الجامع بمدينة أشبيلية (Sevilla) التي تعرف اليوم باسم الجيرالدا ، وقد تحول المسجد الى

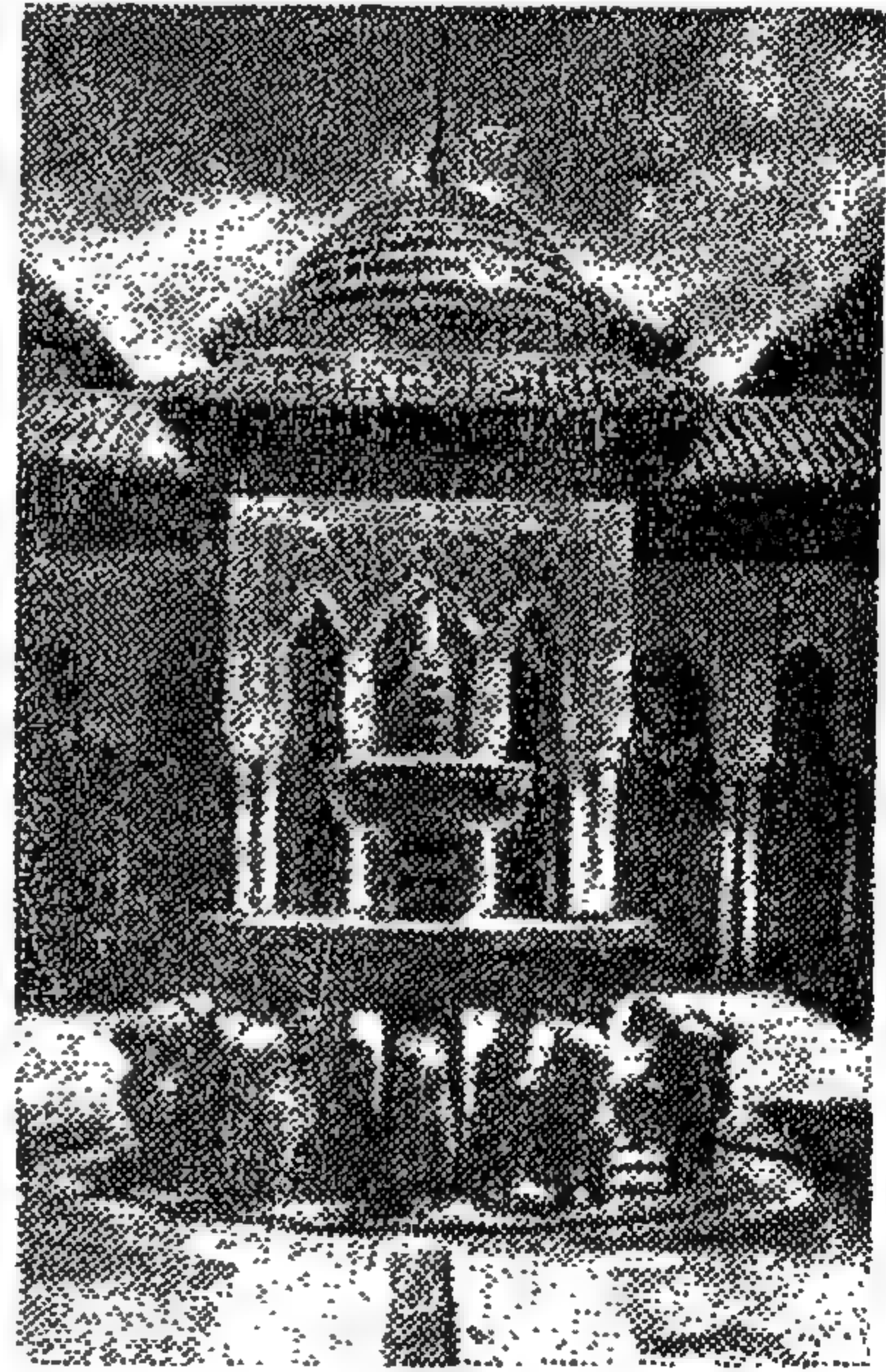
(١) المقرئ : نفح الطيب ج ٥ ص ٨٤ و ٨٥ (طبعة دار المأمون)

كنيسة كبيرة واحتفظت المئذنة بشكلها القديم فيما خلا قمتها التي أضيف إليها برج للأجراس •

ومن أشهر الآثار الإسلامية في العالم قصر الحمراء الذي شيده بنو الأحمر في مدينة غرناطة ، وقد شبعت الأقدار أن ينجو هذا القصر من عبث العابثين فلا تزال حدائقه الغناء التي من أشهرها حديقة عائشة ، وساحاته الفسيحة التي من أروعها ساحة البركة وساحة السباع ، وقاعاته الرائعة التي من أجملها قاعة الأختين وقاعة قمارش وقاعة بنى سراج ، وحمّامه الجميل — هذه كلها لا تزال حافظة لروقتها ناطقة بما وصل إليه المسلمون في العمارة والفن من السمو والتقدم •



٥ — علبة عاج مؤرخة ٣٥٨ هـ
(الاندلس) عن كونل



٤ — ساحة السباع بقصر الحمراء
(الاندلس) عن كونل

فاذا انتهينا من زيارة هذه الآثار أمكننا أن نزور ما في أسبانيا من متاحف أثرية ففيها كثير من التحف الإسلامية المصنوعة من الخزف أو المعادن

أو العاج أو غيرها من المواد . ولقد أعجب الاسبان في العصور الوسطى
بالتحف العاجية فأبقوا على ما وصل اليهم منها وحفظوا فيها ما يعتزون به من
مخلفات دينية وبهذه الوسيلة وجد بعض هذه التحف العاجية سبيله الى
الكنائس حيث استقر هناك في حرز أمين بعيدا عن عبث العابثين .

في مراكش

ولنبر الزقاق (مضيق جبل طارق) الى المغرب الأقصى أو مراكش كما
نسميها ، وقد بدأ الاسلام فيها متأخرا عن باقي بلاد المغرب لبعدها ، وثبتت
قواعده على عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على يدى واليه حسّان بن
النعمان في سنة سبع وسبعين بعد الهجرة وجعل حسّان اللغة العربية لغة رسمية
للبلاد وأقبل الناس على تعلمها وسرعان ما ذاعت بينهم وأصبحت لغة التخاطب
بين الأكثرية الساحقة ، وقد خطب بها طارق بن زياد القائد المغربي في جيشه
المكون من المغاربة كذلك ، خطبته الشهيرة : « أيها الناس أين المفر البحر من
ورائكم والعدو أمامكم ... » وقامت في البلاد دولة الأدارسة التي أسسها
ادريس بن عبد الله بن الحسن الذي فر من وجه الخليفة العباسي المهدي الى
هذه البلاد حيث استعان بقبائل البربر على تأسيس دولته ، وقد أنشأ مدينة



٦ — مدرسة العطارين بفاس (مراكش) عن مارسيه

فاس سنة اثنتين وتسعين ومائة ، وتعد هذه المدينة من أغنى بلاد العالم الاسلامى بالآثار المعمارية القيمة التى من أهمها مسجد القرويين ومكائنه فى بلاد المغرب كمكانة الجامع الأزهر عندنا ، ومنها مدرسة الصفايين والمدرسة العنانية ومدرسة الصهريج ومدرسة العطارين وهذه المدارس من عهد دولة بنى مرين التى حكمت البلاد بعد الموحدين . أما مدينة مراكش التى أسست سنة أربع وخمسين وأربعمائة على أيدي المرابطين الذين أسلفنا الإشارة اليهم ففيها جامع الكتبية الذى أسسه الموحدون الذين أشرنا اليهم من قبل ، كما أسسوا أيضا مدينة رباط الفتح وهى العاصمة الادارية وبها قصر عظمة سلطان مراكش ، ولا ننسى ونحن نغادر هذه البلاد أن الموحدين قد أدخلوا فيها صناعة الحرير والورق والزجاج وأن المؤرخ العظيم ابن خلدون والرحالة الشهير ابن بطوطة قد عاشا فى كنف دولة بنى مرين .

فى الجزائر

وإذا اتجهنا فى سيرنا شرقا وصلنا الى المغرب الأوسط أو بلاد الجزائر، وقد قامت فيه دول اسلامية مختلفة من أهمها دولة الرستمين وهم طائفة من الخوارج^(١) وقد اتخذوا مدينة تاهرت عاصمة لهم، ثم قضى الفاطميون — وهم من الشيعة^(٢) — على ملك الرستمين واضطروهم الى النزول الى الجنوب ، ولما انتقل الفاطميون الى مصر واتخذوها مركزا لخلافتهم عهدوا بحكم البلاد الى بنى زيرى وبنى حماد وكلاهما من قبيلة صنهاجة البربرية التى قامت بأمر الدعوة الفاطمية فى البلاد وقد ارتقت الجزائر فى عهدهما رقيا عظيما، وخلقوا وراءهم آثارا لاتزال خرائبها باقية حتى اليوم ، أما الآثار

(١) الخوارج طائفة من جند على بن أبى طالب خرجوا عليه — ومن هنا سموا بالخوارج — عندما وافق على التحكيم أثناء حربه مع معاوية بن أبى سفيان لانهم رأوا أن التحكيم خطأ اذ أن قبوله معناه الشك فى أحقية على فى الخلافة الامر الذى أضعف من حجة على ، وقد حاربهم على ولكنه لم يقض عليهم وأصبحوا فرقا مختلفة منها فرقة الإباضية التى لا يزال اتباعها فى بلاد المغرب .

(٢) راجع : هامش ص ٤ ؛ ص ٢٢ — ٢٣

الاسلامية التي لاتزال تحتفظ بروقتها فراها في مدينة تلمسان ، والعباد والجزائر . فالمسجد الجامع في الأولى شيده المرابطون وزاد فيه الموحدون، ومدفن سيدي أبي مدين والمسجد الملحق به بمدينة العباد قد شيد في عهد بني مرين ، ثم المسجد الجامع في مدينة الجزائر الذي شيد في عهد المرابطين وقد جدد بناؤه وتغيرت معالمه في العصور التالية ، وأقدم ما فيه هو المنبر الذي يحمل تاريخ صنعه وهو سنة تسع وأربع مائة « ١ » .



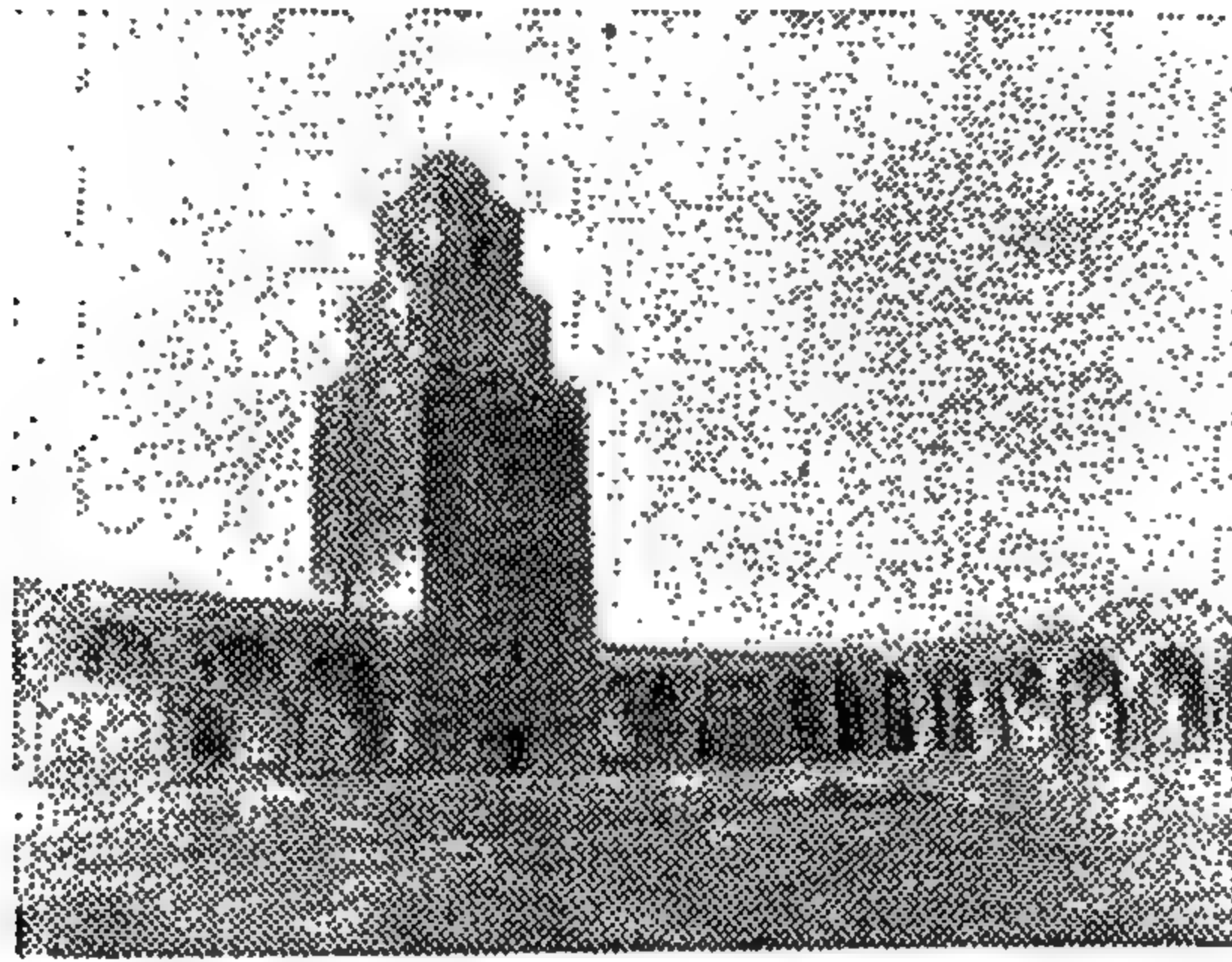
٧ — المسجد الجامع في تلمسان (الجزائر)
عن مارسيه

في تونس

وتقع تونس الى شرقى الجزائر ، وكانت تعرف في العصور الوسطى باسم افريقية ، وهى أعرق أقاليم المغرب في الاسلام وقد فتحها العرب سنة سبع وعشرين بعد الهجرة وأعيد فتحها على يد عقبة بن نافع سنة خمسين بعد الهجرة وقد أسس بها مدينة القيروان أقدم العواصم الاسلامية في المغرب وبنى بها مسجده الشهير ، ثم أعيد غزو البلاد مرة أخرى على يدى حسّان بن النعمان الذى قضى نهائيا على شوكة البربر وأسس بجوار

(١) Marçais, La Chaire de la Grande Mosquée d'Alger, Hesperis, 4e Trimestre, 1921.

قرطاجنة قرية صغيرة جعل منها قاعدة بحرية وشيّد بها دارا لصناعة السفن مستعينا في ذلك بعمال من مصر ثم أخذت هذه القرية تكبر وتتسع حتى عظمت وعرفت باسم تونس وخطط فيها ابن الجبّاب مسجد الزيتونة سنة أربعة عشرة ومائة بعد الهجرة • واستقل الأغالبة بالبلاد وسطروا في تاريخها أروع الصفحات «١» ، وأجمل ما في تونس اليوم من الآثار الاسلامية اما ردوا اليه الحياة في أجمل صورها واما انشأوه وتقنوا في انشائه ، فمسجد عقبة بالقيروان قد خرج عن سذاجته الأولى ولبس على أيديهم حلة رائعة



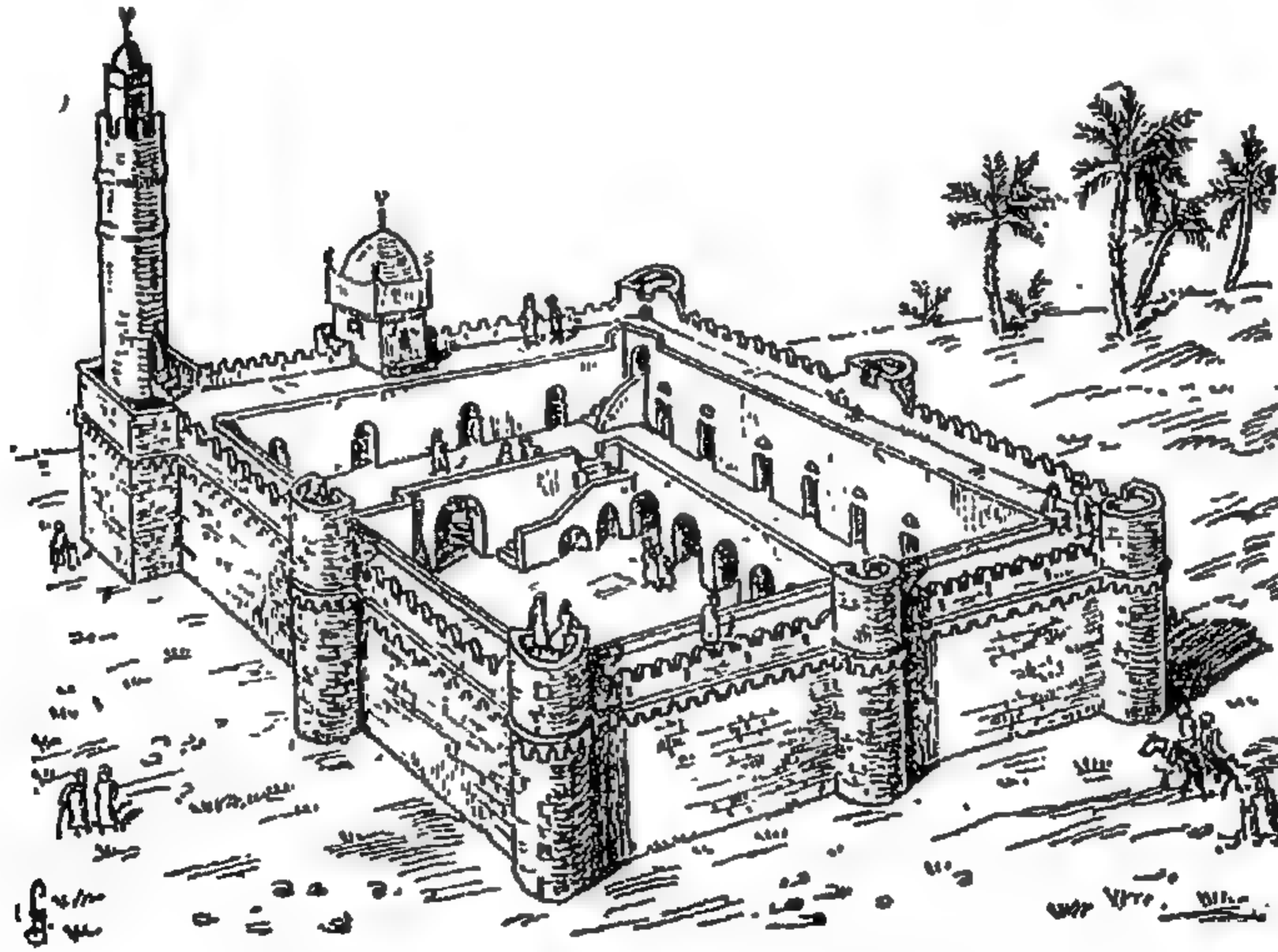
٨ — صحن ومئذنة المسجد بالقيروان (تونس)
عن كونل

من الجمال • وتعد مئذنته أقدم ما في العالم الاسلامي من المآذن وقد اتخذت مثالا يحتذى في بناء المآذن بمساجد المغرب والأندلس ، وأسبغ الأغالبة على مسجد الزيتونة أثواب الجمال الفني ، وأنشأوا في مدينة سوسة المسجد الجامع والرباط «٢» ومسجد أبي فتاته وكلها لاتزال قائمة تنطق بعظمتهم،

(١) أسس دولة الاغالبة ابراهيم بن الاغلب الذي طلب الى هارون الرشيد ان يجعل الحكم وراثيا في أسرته نظير أربعة آلاف دينار فقبل الرشيد ذلك مشروطا موافقة الخليفة على من يتولى الحكم من أفراد الاسرة .

(٢) الرباط في الاصل معناها ارتباط الخيل بازاء العدو في الثغور ، ومنه

ثم بنوا الما جل العظيم أو « فسقية الأغابة » وهو صهريج كبير مستدير تتجمع فيه مياه الأمطار ليشرب منه أهل القيروان . ولم تكن تونس في نظر الفاطميين الذين جاءوا بعد الأغابة سوى قنطرة عبروا منها الى مصر التي كانوا يمدون أبصارهم اليها ويتوقون الى الاستيلاء عليها للانتفاع بخيراتها وبموقعها في نشر مذهبهم الديني ، وأهم ما يذكر لهم في تونس مدينة المهديّة التي تحمل اسم مؤسس دولتهم أبو عبيد الله المهدي ، ويدل تأسيسها - في سنة ثلاث وثلاثمائة - على ما كان للمسلمين من بعد نظر في اختيار مواقع المدن ، فقد خرج المهدي - على حد قول ابن الأثير - يرتاد ساحل البحر باحثا عن موقع لمدينته فوجد جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصل بزند فبنى فيها مدينته واتخذ من ساحلها ميناء بحريا حفره في الصخر وجعله يكفي لايواء ثلاثين سفينة ، ثم أنشأ مسجدها الجامع الذي كانت واجهته



٩ - رباط سوسه - منظر تخيلي (تونس)
عن جروين

الرباط الذي يلزم الثغر لدفع العدو أخذا من قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا احسبوا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . ويعني الرباط في العمارة الاسلامية البناء الذي كان يتخذه المسلمون مسكنا لأولئك الذين وقفوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله ضد أعداء الاسلام ، وقد يكون مقرا لمن تفرغوا للعبادة فيدفعون بدعائهم البلاء عن البلاد .

مبعث الوحي للمهندس الذى أشرف على انشاء مسجد الحاكم بأمر الله بالقاهرة . وترك الفاطميون تونس بعد أن عهدوا بحكمها الى قبيلة صنهاجة البربرية التى أشرنا اليها من قبل . ، وخلع هؤلاء المغاربة طاعة الفاطميين وتوجهوا بولائهم الى الخلفاء العباسيين فى بغداد فاتتقم منهم الفاطميون بأن أطلقوا على تونس جماعات من أعراب بنى هلال الذين كانوا ينزلون فى صعيد مصر فعاثوا فى تونس فسادا ونشروا الفوضى فى كل مكان، وقد صورت حوادثهم هذه فى القصة الشعبية المعروفة بقصة « أبو زيد الهلالي » . واستولى الموحدون على البلاد وانتقلت عاصمتها الى مدينة تونس وقامت فيها فيما بعد الدولة الحفصية التى نشطت فى أيامها حركة التعمير نشاطا عظيما فأدخلوا على مسجدى القيروان والزيتونة كثيرا من التحسينات ، وأنشأوا كثيرا من المساجد والمدارس والأسواق لا يزال بعضها قائما حتى اليوم كمسجد القصبة الذى يمتاز بصومعته الجميلة التى تحمل تاريخ انشائها وهو سنة ثلاثين وستمائة بعد الهجرة « ١ » .

فى صقلية

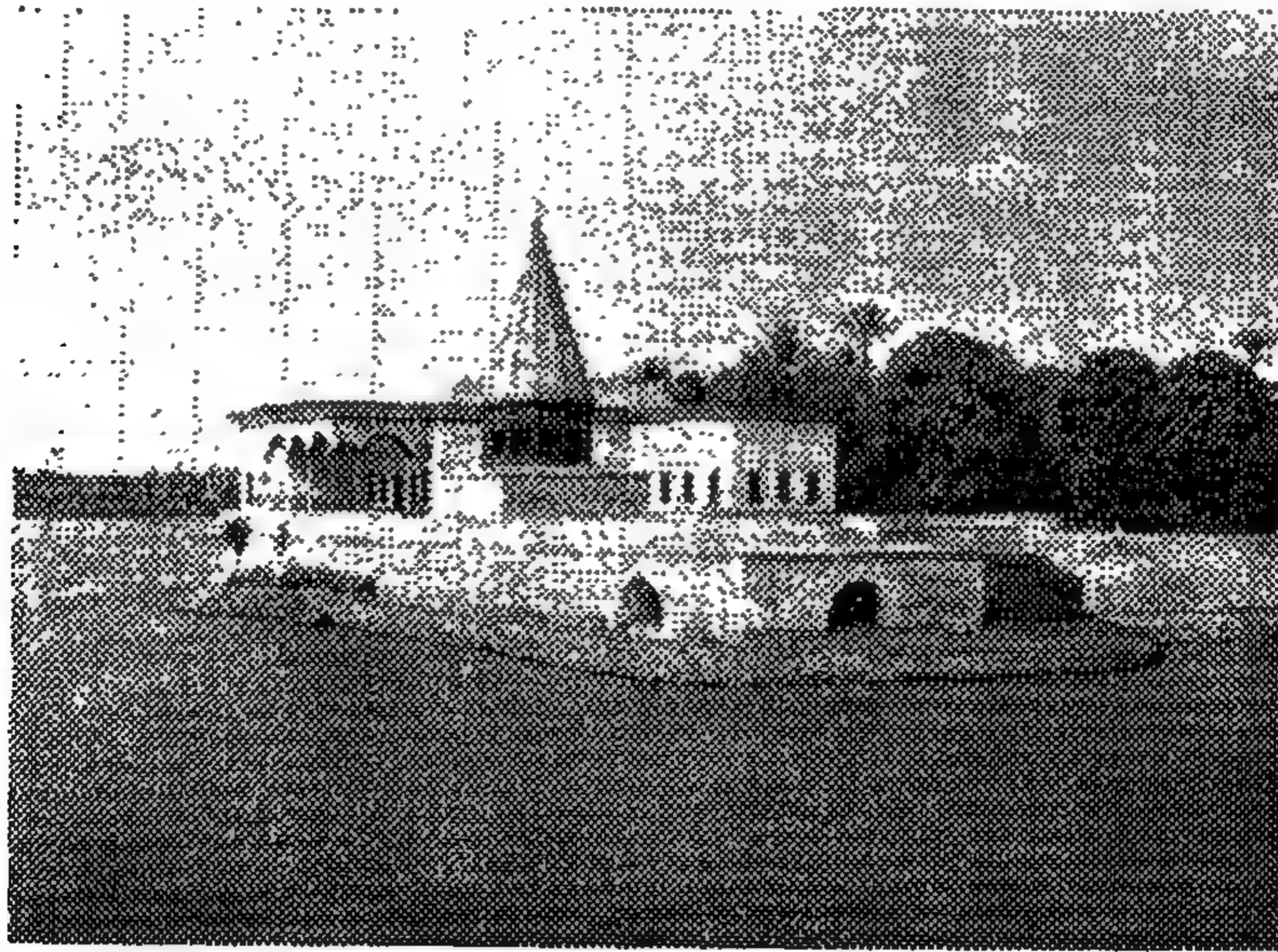
واذا عبرنا البحر الى صقلية رأينا بلادا فتحتها المسلمون ومكثوا بها نحو من قرنين ونصف (٢١٢ — ٤٥٣ هـ) ثم قضى النورمانديون على حكم المسلمين عام ٥٤٣ هـ ولكنهم لم يستطيعوا القضاء على الحضارة الاسلامية التى مكث لها الأغالب الذين عرفناهم من قبل فى تونس — ونشروها فى ربوع الجزيرة ، واذا كان النفوذ السياسى للعرب قد انتهى بالفعل ، فان نفوذهم فى الفن والثقافة ظل قويا اذ استعان هؤلاء الاوروبيون بعلماء المسلمين وفنانينهم فى نشر الحضارة الاسلامية فى الجزيرة . وصقلية هى « ابنة الاندلس فى سعة العمارة وكثرة الخصب والرفاهية » كما يقول ابن جبير ، ومن أهم آثارها الباقية « قصر العزيزة » و « قصر القبة » ، وكلاهما قد بنى فى العصر النورماندى ولكن يتجلى فيهما جمال الفن الاسلامى

(١) راجع بحثا عن « الفن الاسلامى فى تونس » للمؤلف فى عدد أكتوبر سنة ١٩٤٣ من مجلة الهلال

بصورة واضحة • ولا يفوتنا ونحن نغادر هذه الجزيرة أن نذكر أنها قد لعبت في الحضارة الأوربية الحديثة دورا هاما ، فقد استمد منها الايطاليون — وهم أول رسل للحضارة في أوربا — خبرتهم الصناعية في فجر النهضة الاوربية كما تأثروا بفنها في فنونهم الزخرفية •

في مصر

ونعبر البحر مرة ثانية الى مصر ذلك القطر الذي شاعت العناية الالهية أن تحميه من كثير من الكوارث التي نزلت بغيره من الأقطار الاسلامية فاحتفظ بالكثير من آثار المسلمين الثابتة والمنقولة على السواء وأصبح بذلك الحارس الأمين على هذا التراث العظيم ، وقد فتح عمرو بن العاص مصر سنة عشرين بعد الهجرة وأصبحت البلاد ولاية يعين عليها عمال من الخلفاء في المدينة أو في دمشق أو في بغداد أو سر من رأى ، وقد وصل إلينا من هذه المرحلة الأولى أثران هاما هما : مسجد عمرو أول المساجد التي أسست في البلاد ولم يبق منه الا الأرض التي شيّد عليها وبعض أجزاء في



١٠ - مقياس النيل بجزيرة الروضة من الخارج (مصر)
عن البارة حفظ الآثار العربية

جداره الغربى «١» • ثم مقياس النيل الموجود بجزيرة الروضة «٢» • واستقل أحمد بن طولون بمصر وبلغت البلاد في عهده درجة عالية من التقدم والرقى ، الأمر الذى يشهد به القصر الذى شيده هو ووسعه ابنه خمارويه ، ولئن كانت معاملته قد ضاعت الا أن وصفه الذى وصل إلينا يدلنا على مقدار عظمة مصر في العصور الوسطى «٣» • والتأمل في هذا الوصف يكشف لنا عن صورة من صور القصور في هذا العصر وعن هندسة الحدائق وتنظيمها كما يجلو علينا مدى التقدم المادى الذى كانت عليه مصر منذ أحد عشر قرنا يوم لم تكن أوربا أو أمريكا شيئا مذكورا ولم يكن فيهما ما يستحق الذكر اذا ما استثنينا روما والقسطنطينية • والذى يؤسف له أن جميع آثار الدولة الطولونية هدمت انتقاما منها لخروجها على الخلافة العباسية ولم ينج الا المسجد الذى يعد مفخرة العمارة الاسلامية ، واذا كان المسجد الجامع بمدينة « سر من رأى » بالعراق الذى بنى هذا المسجد على نمطه قد تخرب ولم يبق منه الا أطلال فان في جامع ابن طولون خير العوض «٤» • ودخلت مصر في حكم الأخشيديين ولم يصل إلينا من آثارهم الا مشهد آل طباطبا وقد عبثت به يد البلى «٥» • ثم دخلت تحت حكم الفاطميين ، ويعتبر عصرهم من أغنى العصور بالآثار الاسلامية اذ وصلت إلينا منه أبنية مختلفة منها الجامع الأزهر وجامع الحاكم والجامع الأحمر وجامع

(١) راجع ص ٩-٢٦ من كتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك لمؤلف هذا الكتاب (الطبعة الثانية) سنة ١٩٤٦

(٢) راجع ص ١٩ و ٢٠ من كتاب الفن المصرى الاسلامى للمؤلف - مطبوعات دار المعارف سنة ١٩٥٢

(٣) ابن تفر بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج ٣ ص ٥٣ - ٥٦ (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢)

(٤) انظر ص ٢٧-٥٢ من كتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك للمؤلف (الطبعة الثانية) •

(٥) سيدة اسماعيل الكاشف : مصر فى عهد الاخشيديين ص ٢٨٥-٢٨٧ واللوحة الثالثة ، القاهرة سنة ١٩٥٠

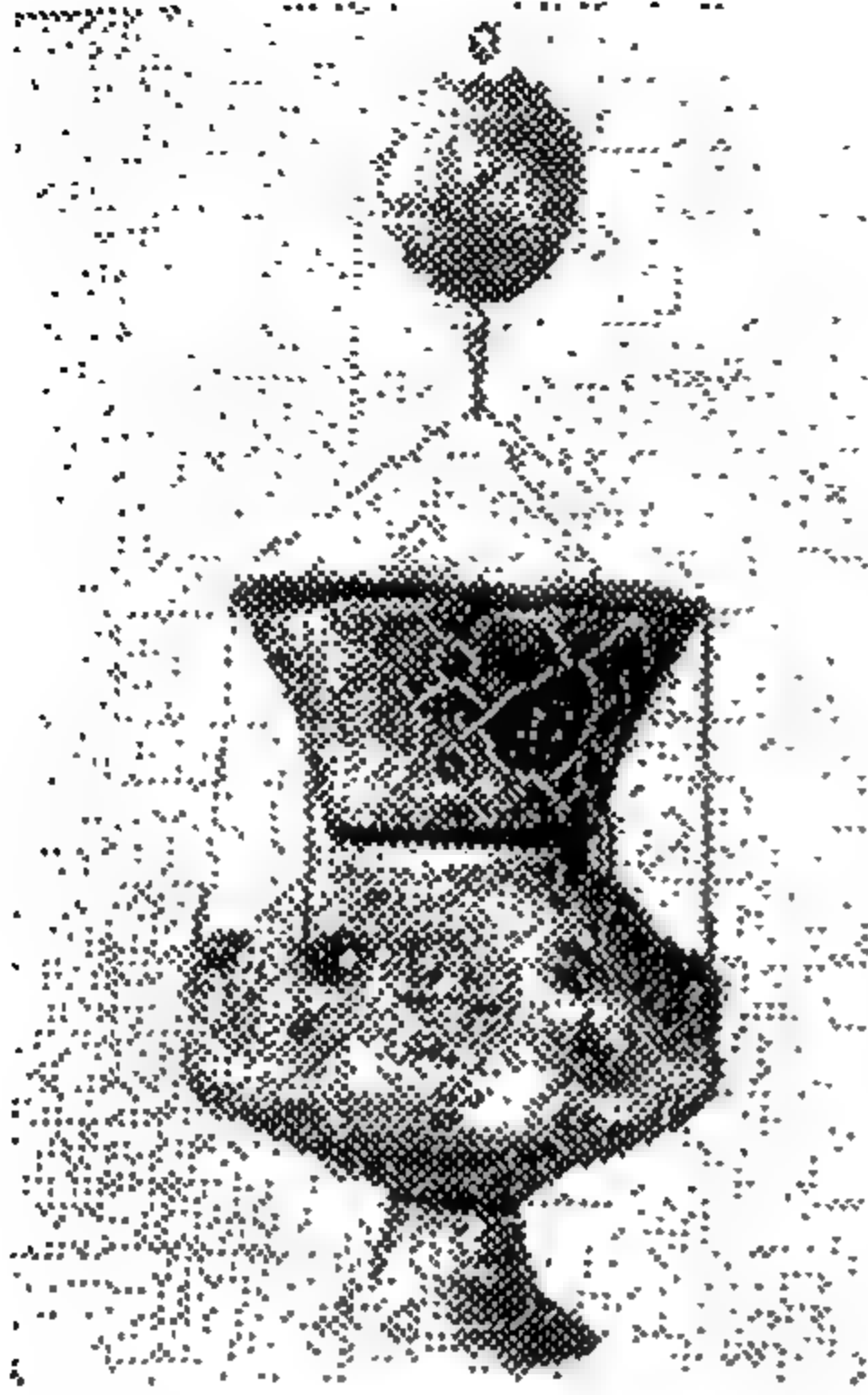
الصالح طلائع «١» ومشهد الجيوشى «٢» وغيره من مشاهد أخرى كثيرة ثم أبواب القاهرة وأسوارها المنيعة • ووزر صلاح الدين الأيوبي للعاقد آخر الخلفاء الفاطميين ، ثم أسقط الخلافة الفاطمية وتوجه بولائه الى الخليفة العباسى وأسست الدولة الأيوبية التى لم تترك من الآثار الا القليل بسبب انصرافها الى محاربة الصليبيين ، وكان من أثر هذه الحرب أن اتصل الغرب بالشرق وتأثر بحضارته ، وأهم آثار الأيوبيين القائمة : قلعة القاهرة التى دخل عليها الكثير من التغير فى العصور التالية ثم مشهد الامام الشافعى ذو القبة العالية الرائعة • ثم جاء عصر المماليك وقد كان عصر انتاج فنى منعدم النظير ، وقد أحييت فيه الخلافة العباسية - التى سقطت فى بغداد وظلت بمصر حتى استولى الأتراك عليها فانتقلت الخلافة معهم الى اسطنبول ، وأهم ماتجب الاشارة اليه من آثار المماليك مسجد الظاهر بيبرس «٣» وقبة قلاوون وخانقاه بيبرس «٤» ومدرسة السلطان حسن التى تعتبر من أعظم الآثار الاسلامية فى العالم • ثم دخلت مصر تحت حكم الامبراطورية العثمانية ومن أهم ما وصل الينا من هذه الفترة جامع سنان باشا ومسجد الملكة صفية وجامع محمد أبو الذهب • وقبل أن تغادر مصر ينبغى أن نمر بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة لنشهد فيه ما وصل الينا من تحف مختلفة منذ فجر الاسلام حتى عصر محمد على ، ولا نستطيع أن نلخص فى هذه الصفحات القليلة أهم ما فى المتحف انما يكفيننا أن نشير اشارة عابرة الى المجموعات القيمة من المنسوجات الأثرية ومن الأخشاب

(١) راجع ص ٥٣-١٠٤ من كتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك للمؤلف .

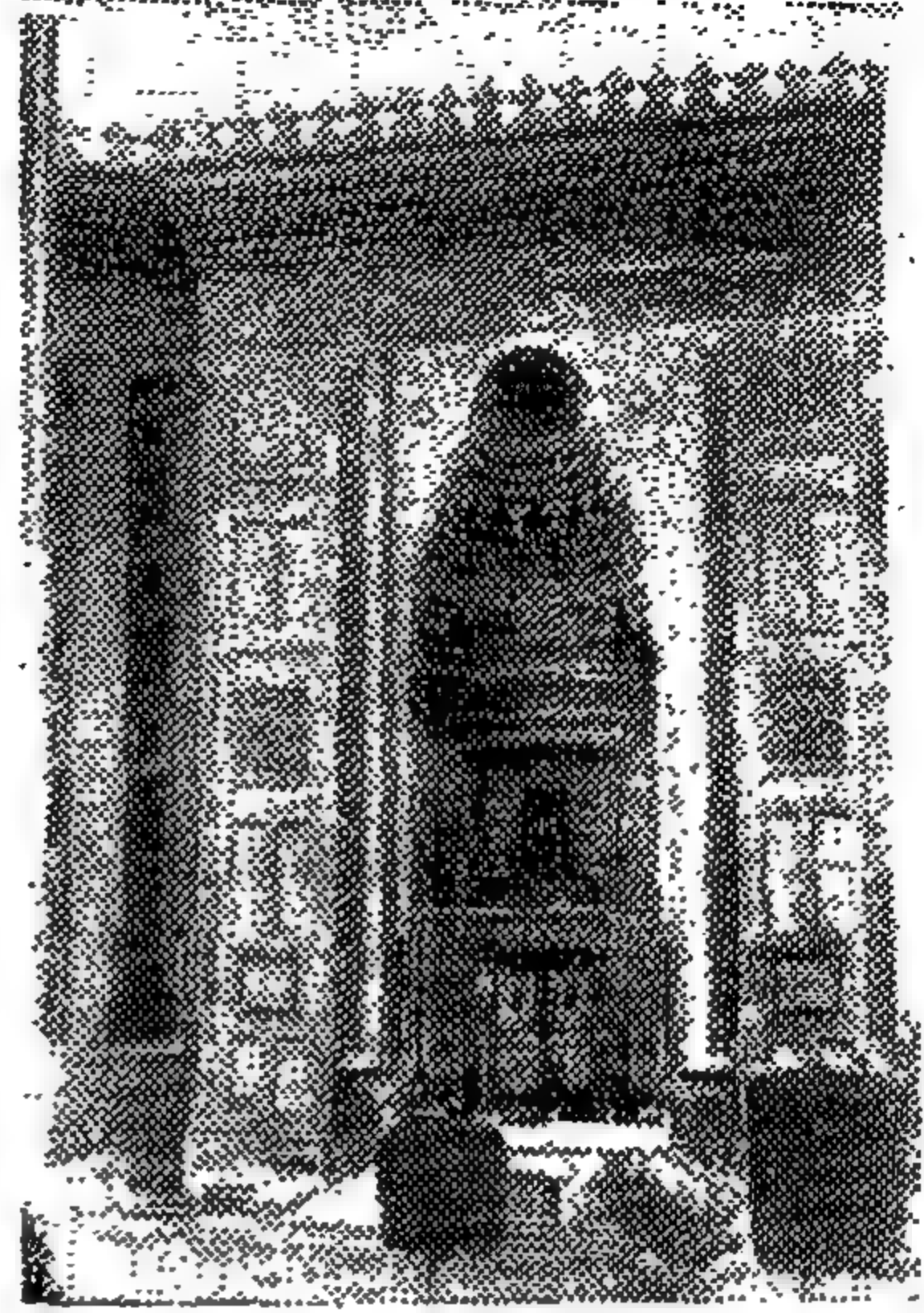
(٢) راجع بحثا لمؤلف هذا الكتاب عن مشهد الجيوشى فى مجلة الازهر عدد شهر صفر سنة ١٣٦١ هـ .

(٣) راجع بحثا عن هذا المسجد للمؤلف فى المجلة التاريخية المصرية ص ٩١-١٠٢ من المجلد الثالث - العدد الاول - مايو سنة ١٩٥٠

(٤) تعتبر قبة قلاوون من أروع المدافن الأثرية الاسلامية فى مصر . أما الخانقاه فكلمة فارسية معناها دار الصوفية أى المكان الذى يقيم فيه جماعة من المسلمين زهدوا فى لهو الحياة ورغبوا فى الانقطاع الى عبادة الله وهى أشبه ماتكون بأديرة الرهبان عند المسيحيين .



١٢ - مصباح زجاجي
بالمتحف الاسلامي (مصر)
عن قبييت



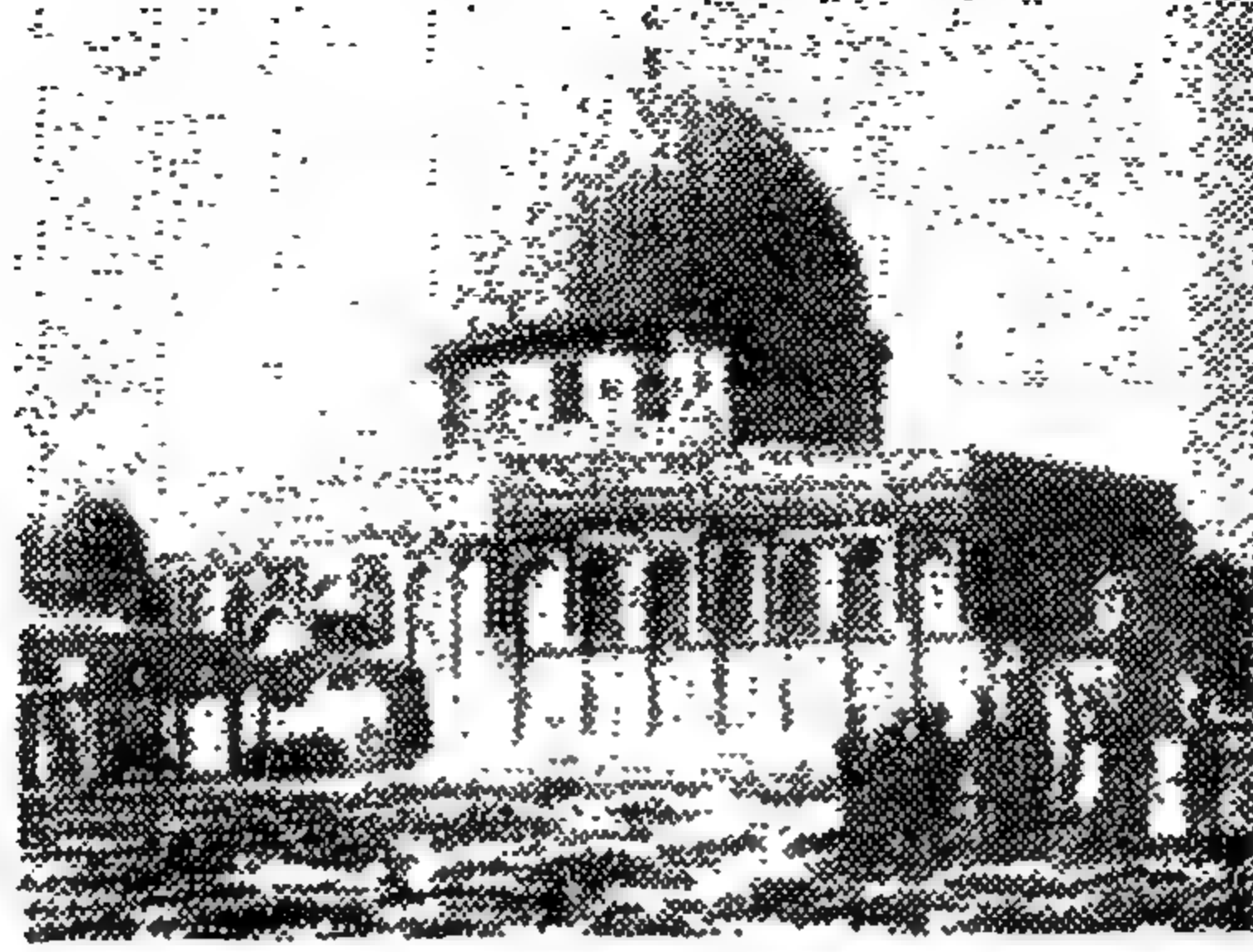
١١ - مدخل مدرسة
السلطان حسن (مصر)
عن ادارة حفظ الآثار العربية

ومن الخزف والفخار ومن التحف النحاسية والمعدنية ، التي تنتظم كل العصور الاسلامية تقريبا من مصر وغير مصر والى مجموعة شواهد القبور التي تجلو علينا تطور الخط الكوفي منذ سنة احدى وثلاثين بعد الهجرة ، وأخيرا الى المصاييح الزجاجية المملوكية المعروفة بالمشكاوات والتي تعد من أروع ما أخرجته يد الانسان «١» .

في الشام

وتقصد ببلاد الشام هنا المعنى القديم أى البلاد التي تشمل فلسطين وشرق الاردن ولبنان وسوريا ، وقد قامت فيها الخلافة الأموية بعد سقوط دولة الخلفاء الراشدين ، وتركت لنا الكثير من الآثار الهامة التي لا تزال قائمة حتى اليوم مثل قبة الصخرة التي بناها عبد الملك بن مروان سنة اثنتين وسبعين بعد الهجرة فوق الصخرة المقدسة في بيت المقدس التي يقال ان النبي وضع قدمه عليها عندما صعد الى السماء ليلة الاسراء ، والمسجد

(١) راجع الفن المصرى الاسلامى للمؤلف من ص ٩١ - ١٢٣

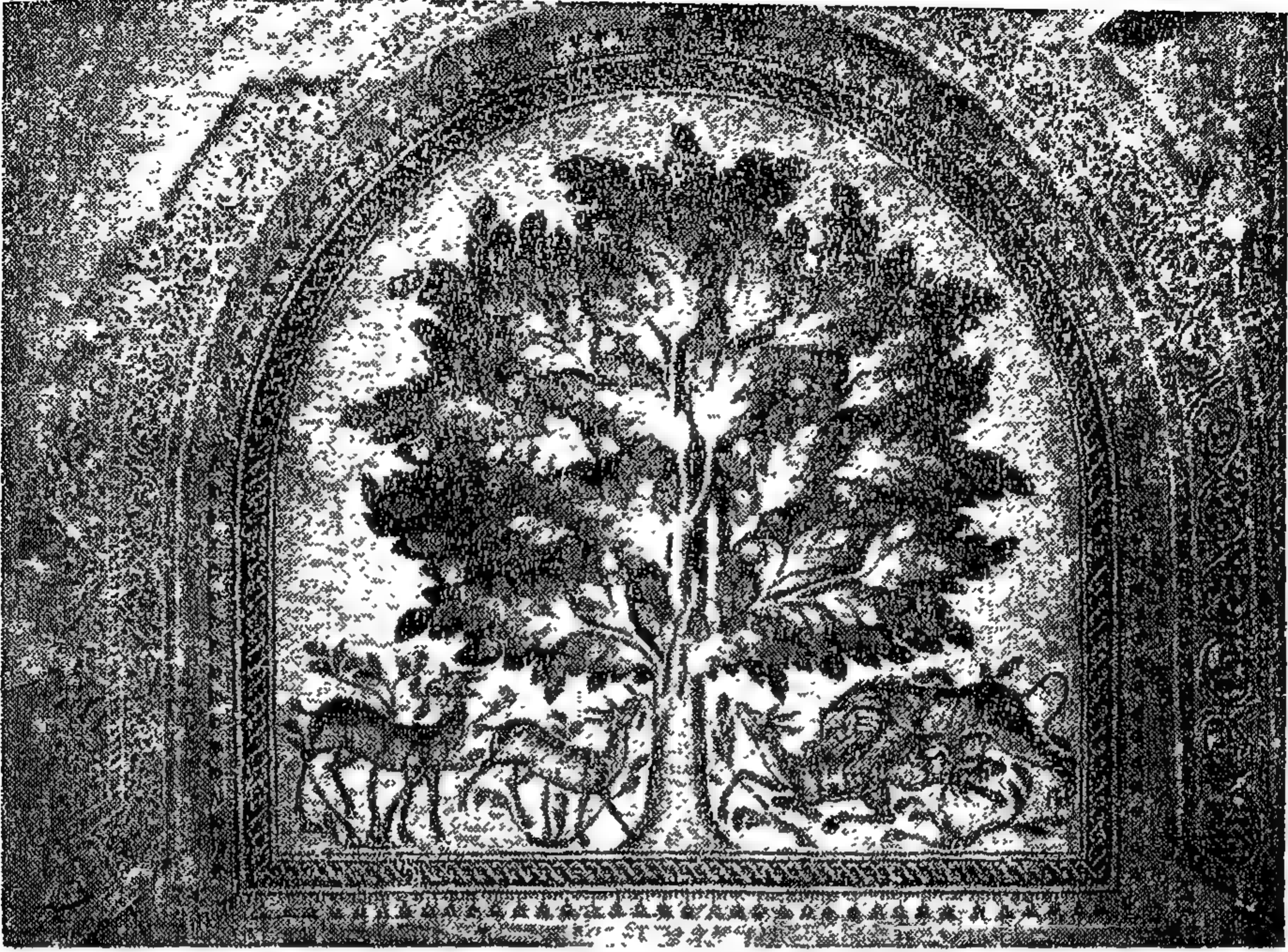


١٣ - قبة الصخرة من الخارج (فلسطين) عن ديز

الأموي الذي شيّده الوليد بن عبد الملك في دمشق بين سنتي ثمانية وثمانين وستة وتسعين بعد الهجرة وأثفق عليه أموالا طائلة حتى جعله إحدى عجائب الدنيا على حد قول المقدسي الذي يقول فيه « قلت يوما لعمى يا عم ، لم يحسن الوليد حين أثفق أموال المسلمين على جامع دمشق ، ولو صرفت في عمارة الطرق والمصانع ورم الحصون لكان أصوب وأفضل ، قال لاتعقل يا بني ، ان الوليد وفق وكشف له عن أمر جليل وذلك أنه رأى الشام بلد النصارى ورأى فيها ييعة قد افتن في زخارفها وانتشر ذكراها كالقمامة «كنيسة القيامة» وبيعة لد والرها، فاتخذ للمسلمين مسجدا أشغلهم به عنهن وجعله أحد عجائب الدنيا «١» . وقصير عمرو الذي كشفت عنه الحفائر الأثرية سنة ١٨٩٨م على بعد خمسين ميلا شرقي عمان عاصمة شرق الأردن ، وقد بنى ليستريح فيه الخليفة عند خروجه للصيد وألحق به حمام تزدان جدرانه بصور آدمية مختلفة من أهمها صورة للخليفة على عرشه وقد وقف وراءه الملوك الذين أخضعهم، وينسب هذا البناء الى الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي تم في عهده إخضاع هؤلاء الملوك «٢» . وقصر هشام الذي وفقت الى كشفه ادارة الآثار الفلسطينية في شمال مدينة أريحا في خربة المفجر وهو يرجع الى سنة عشر ومائة بعد الهجرة على أساس كتابة

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٥٩ طبعة ليدن

(٢) Creswell, op. cit. , vol. I, p. 253-272



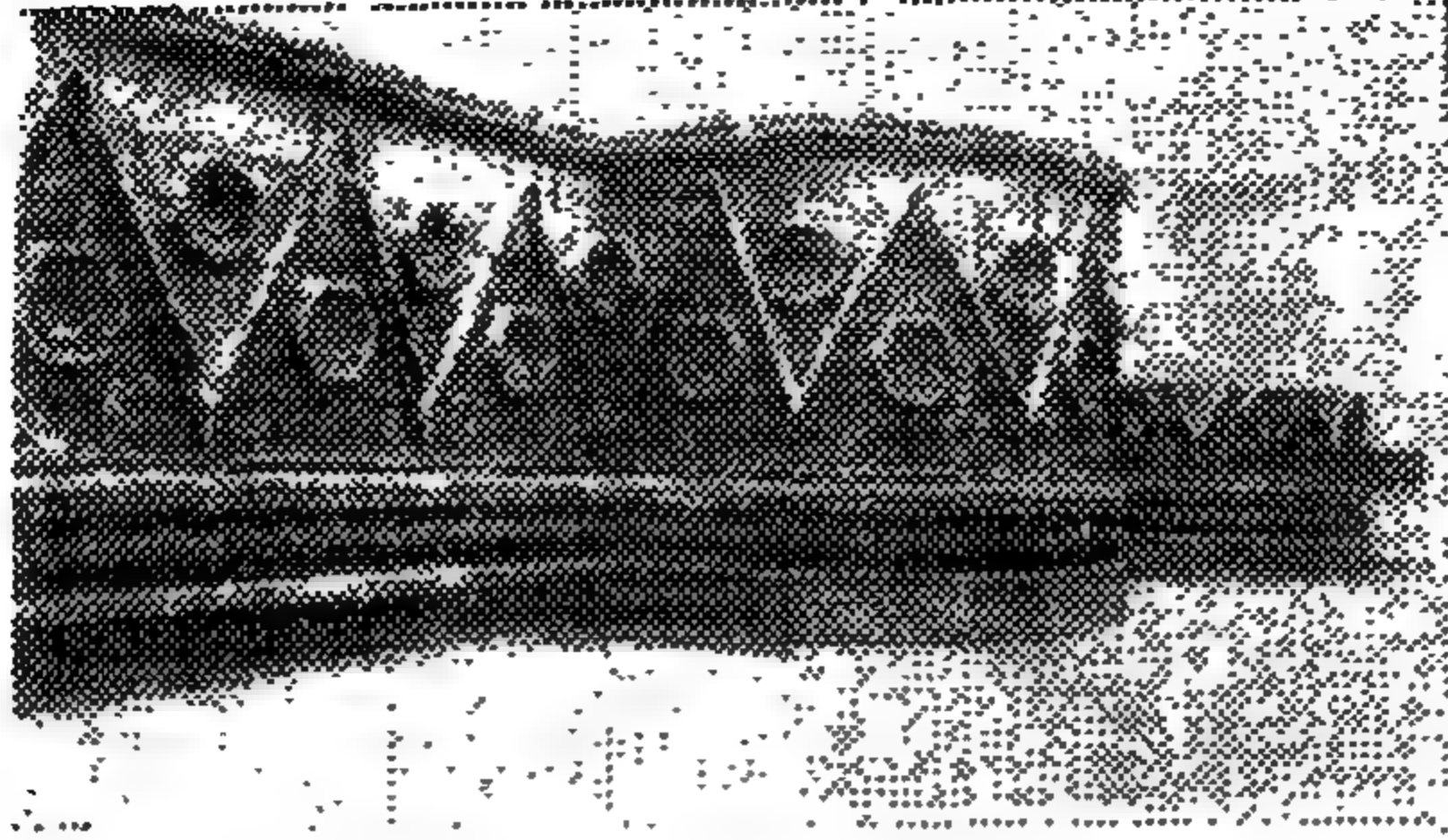
١٤ - قصر هشام بخربة المفجر (فلسطين) عن برمكي

وجدت في خرائبه «١» • وقصر المشتى الذى انكشفت أطلاله في القرن التاسع عشر الميلادى في الجنوب الشرقى من عمان وله واجهة حجرية ذات زخارف رائعة وقد أهداها السلطان عبد الحميد الى الامبراطور غليوم سنة ١٩٠٣ م ونقلت أحجارها الى برلين حيث أعيد تركيبها في القسم الاسلامى بمتاحف الدولة ، ويرجع هذا القصر الى أواخر عصر الدولة الأموية «٢» • وقد فقدت دمشق مكائنها بعد سقوط الخلافة الأموية ، وشاطرت مصر حظها في معظم الأحوال، فقد غزاها الأخشيديون ثم الفاطميون ثم الأيوبيون ، وقد وصل الينا من هذا العصر بيمارستان نور الدين «٣» •

(١) Barmaki, Guide to the Umayyad Palace at Khirbat al-Mafjar, Jerusalem, 1947.

(٢) Kuhnel, Machatta, Berlin, 1933.

(٣) البيمارستان مستشفى عام يتفقد شئونه أطباء من قبل الدولة يطالعون فيه أحوال المرضى ويرتبون لهم أخذ ما يحتاجون اليه ، وبين أيديهم



١٥ - واجهة قصر المشتى (شرق الاردن) عن كونل

ونزلت بدمشق بعد ذلك كارثة الغزو المغولي الذي قضى على معظم آثار الحضارة فيها ولكنها عادت فاستردت مكائتها من جديد في عصر المماليك ثم عادت فتدهورت عندما استولى عليها تيمورلنك حفيد جنكيز خان زعيم المغول الذي أتى على ما كان فيها من صناعات وفنون ، وأخيرا دخلت في حوزة العثمانيين وأهم ما وصل إلينا من آثارهم التكية السليمانية التي شيدها سليمان القانوني - والتكية في هذا العصر هي الخانقاه في العصر المملوكي «^١» . ومدينة حلب التي كانت عاصمة الجزء الشمالي من بلاد الشام قامت فيها مملكة بنى حمدان ، تلك الأسرة العربية التي انتزعت حلب من يد الأخشيديين ، وأعظم شخصية فيها سيف الدولة الحمداني الذي نال شهرة واسعة خلدها له الشاعر العربي العظيم أبو الطيب المتنبي ، وقد أهدى له أبو الفرج الاصبهاني كتابه « الأغاني » فأعطاه ألف دينار ، وكتاب الأغاني كنز ثمين يجد فيه المشتغلون بالآثار الإسلامية معلومات قيمة ففيه صور واضحة لمظاهر الحياة الاجتماعية ووصف لآلات الطرب والشراب والأثاث والحلى والملابس وغيرها «^٢» ، ويحسن أن نشير هنا الى أن للشعر العربي

= موظفون يقومون بطبخ الادوية والاغذية وهو من حيث التصميم أشبه بقصر كبير فيه المقاصير والبيوت وجميع مرافق المساكن (أنظر بحثنا أثريا عن هذا البيمارستان للاستاذ صلاح الدين النجد طبع في دمشق سنة ١٩٤٦) .

(١) راجع الهامش رقم ٤ من ص ٣٧

(٢) هناك دراسات مختلفة عن كتاب الاغاني من أحدثها كتاب شفيق جبري « دراسة الاغاني » وقد طبع في سوريا سنة ١٩٥١ وكتاب محمد =



١٦ - قلعة حلب من الخارج (الشام) عن جلك وديز

— لاسيما ما يتصل منه بالوصف — فضلا كبيرا على الباحثين في الآثار الاسلامية اذ احتفظ لهم في بعض الأحيان بوصف الآثار والتحف التي ضاعت ، وليس هناك من شك في أن هذا الوصف قد تعوزه الدقة التي يتطلبها دارس الآثار ولكنه يساعد على تكوين صورة ذهنية أقرب ما تكون الى الحقيقة . وقد استولى الامبراطور البيزنطى تقفور فوكاس على حلب وخربها ثم جاء نور الدين محمود فضمها الى أملاكه وخلصها من الفرنجة الذين حكموها خلال الحروب الصليبية ، وقد كانت صلتها بالأوربيين وثيقة ، وأقيم فيها للبنادقة خان في عهد الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين الأيوبي ، والخان بناء أشبه ما يكون بفنادق اليوم مع فارق واحد هو احتواؤه على أمكنة لدواب المسافرين ومخازن لحفظ مامعهم من سلع ، وقد كان يتكون من صحن مكشوف تربط فيه الدواب ، وغرف بعضها يطل على الصحن وبعضها يفتح على الطريق العام ، وفي الأولى يحفظ مامع التجار من مضائق وفي الثانية تعرض السلع المعدة للبيع أو المبادلة ، وفي أعلى غرف معدة لنزول المسافرين . ومن أهم آثار هذا الملك أيضا قلعة حلب التي تعد من أجمل وأعظم التحصينات العسكرية التي وصلت اليها من

== عبد الجواد الاصمعى (أبو الفرج الاصبهانى وكتابه الاغانى) من مطبوعات دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥١ .

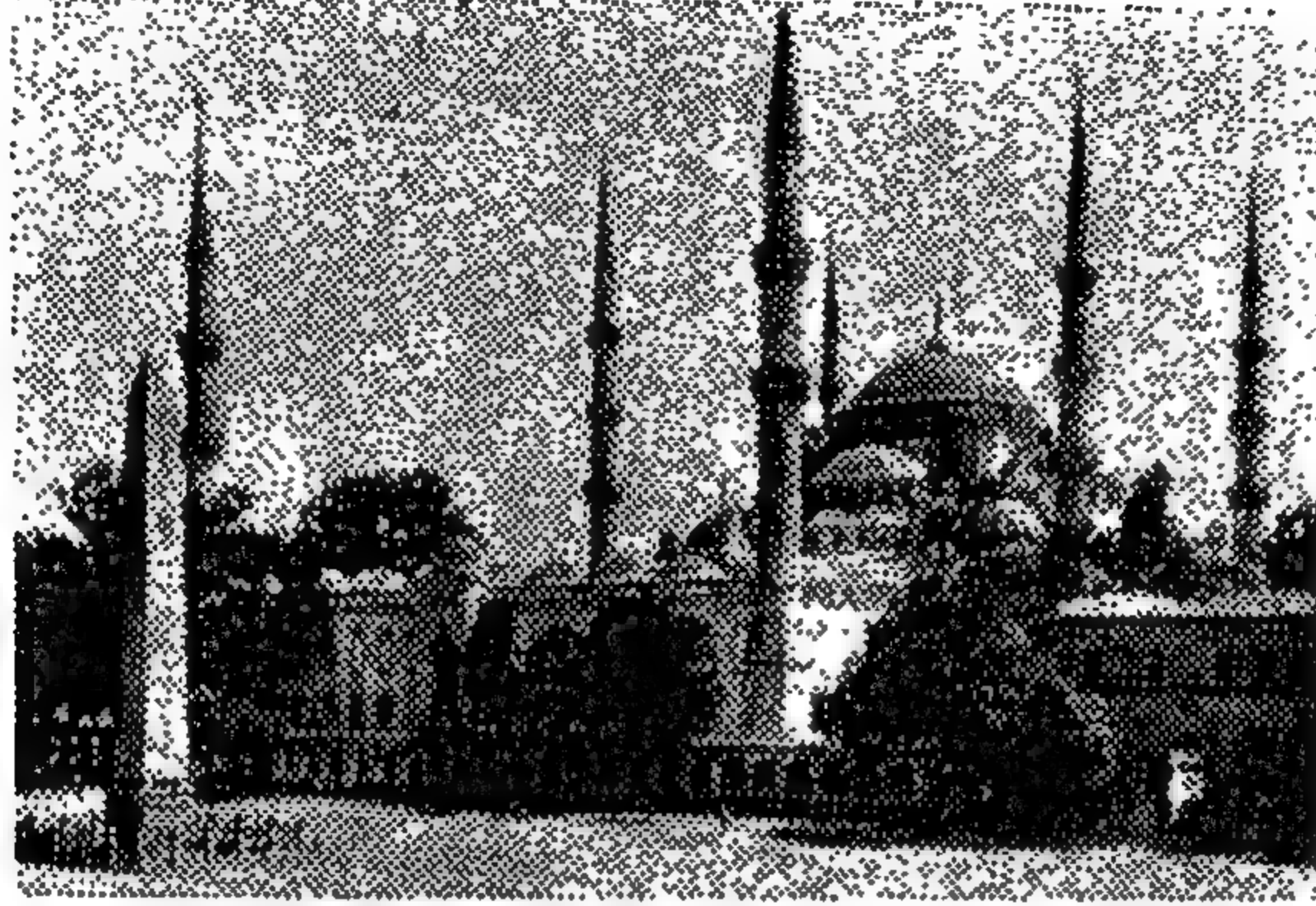
العصور الوسطى تنطق بمدى ما بلغه المسلمون في العمارة الحربية من تفوق ومهارة ، وليست هذه القلعة وذلك الخان هما كل ما بقى من الآثار الإسلامية في حلب بل فيها مجموعة من الأبنية الأثرية المختلفة لكل منها طابع العصر الذى أنشئت فيه ونكتفى بالإشارة الى مسجدتها الجامع ، ومدرسة الفردوس ، وخان الوزيرى «^١» .

آسيا الصغرى

ونتقل الى آسيا الصغرى حيث نرى أحد فروع دولة السلاجقة التى أشرنا اليها من قبل ، ولقد ازدهرت دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى في القرنين السادس والسابع بعد الهجرة ، وكانت عاصمتها في مدينة قونية التى عنى السلاجقه بتجميلها بالمساجد والمدارس والقصور والأسواق والخانات وأصبحت تلك المدينة من أعظم مراكز الحضارة الإسلامية ، ولا تزال بقايا هذه الحضارة قائمة حتى الآن من أهمها « خان السلطان » فى الطريق الى قونية ، ومدرسة « اينجه مناره » فى قونية نفسها . وأقطع سلطان قونية علاء الدين الثانى احدى القبائل التركية بعض الأراضى الواقعة فى أقصى الشمال الغربى من بلاده على الحدود التى تفصل بينها وبين أملاك البيزنطيين ، وترك لرئيس هذه القبيلة « أرطغرل » حرية توسيع مقاطعته الصغيرة على حساب جيرانه من البيزنطيين ، واستطاع عثمان الذى ورث هذه الأراضى عن والده « أرطغرل » أن يوسع رقعتها بمهارته الحربية فاستحق أن يعتبر المؤسس الحقيقى للدولة العثمانية التى نسبت اليه وتسمت باسمه ، وقد سار خلفاء عثمان على نهجه ونمت مملكتهم حتى شملت آسيا الصغرى بأكملها بل وتجاوزتها نحو الجهات الأربع ، وأصبحت من أعظم الامبراطوريات فى التاريخ ، ومن أهم أعمالها الاستيلاء على القسطنطينية وهذا فى حد ذاته حدث تاريخى عظيم له أهميته اذ اصطلح

(١) وصفت هذه الآثار وغيرها من آثار سوريا فى كتاب أصدرته مديرية الآثار العامة هناك بعنوان « نزهات أثرية فى سوريا » للدكتور سليم عادل عبد الحق ، دمشق ١٩٤٧ .

المؤرخون على اعتباره نهاية للعصور الوسطى وبداية للعصور الحديثة .
وبهذا الفتح بدأت صفحة جديدة في سجل الفن الاسلامى اذ قويت فيه
الروح البيزنطية بشكل واضح ، وقد كانت كنيسة القديسة صوفيا - التى



١٧ - مسجد السلطان أحمد باسطنبول - آسيا الصغرى - عن جلك ودين

تعد أروع الآثار البيزنطية فى العالم - هى مبعث الوحى فى تصميم المساجد
العثمانية بعد أن حورت لتكون المسجد الجامع فى اسطنبول فانشىء لها
محراب ومنبر وأقيم بها من الخارج أربع مآذن اسطوانية تنتهى من أعلى
بطرف مدبب كأنها أقلام الرصاص قد أعدت للاستعمال ، وقد ذاع هذا
التصميم فى الأقاليم الاسلامية التى دانت للعثمانيين الذين أصبحوا خلفاء
المسلمين بعد أن استولوا على مصر . ولا تنسى أن نزور المتاحف المختلفة
فى اسطنبول ففيها الكثير من التحف الاسلامية الهامة كالأسلحة والطنافس
والمخطوطات والأواني الخزفية والنحاسية مما جمعه العثمانيون من البلاد
التي فتحوها ومما صنعوه هم فى بلادهم .

فى العراق

وقد عرفنا بلاد العراق من قبل عندما قامت فيها الخلافة العباسية
وتأسست بغداد ثم قضى المغول عليها وعلى الخلافة ، وسنجد الآن جولة

سريعة بين مابقى من آثار بغداد ثم نزور « سر من رأى » ثم « الموصل » .
ونرى في بغداد القصر العباسي المستخدم اليوم متحفا للآثار الإسلامية^(١)،
وتربة « زمرد خاتون » المعروفة خطأ باسم تربة السيدة زبيدة ، والمدرسة
المستنصرية^(٢) .

وتقع مدينة « سر من رأى » أو سامراء الى شمالي بغداد وقد أنشأها
المعتصم عندما ضاقت بغداد بالممالك الأتراك الذين أكثر من شرائهم
وتأذى بهم السكان اذ كانوا يركضون بدوابهم في شوارع بغداد يصدمون
الناس يمينا وشمالا فيشب عليهم الغوغاء فيقتلون بعضا ويضربون بعضا .
وخرج المعتصم يوما للصيد فمر في طريقه على صحراء لا عمارة فيها ولا
أنيس الا دير للنصارى فوقف بالدير وسأل من فيه من الرهبان عن اسم
هذا المكان فأجابه بعضهم « نجد في كتبنا المتقدمة أن هذا الموضع يسمى
سر من رأى وأنه كان مدينة سام بن نوح وأنه سيعمر بعض الدهور على
يد ملك جليل مظفر منصور له أصحاب كأن وجوههم وجوه طير الفلاة
ينزلها وينزلها ولده » فقال المعتصم « أنا والله أبنيها وأنزلها وينزلها ولدي »،
واشترى الأرض من أصحاب الدير وأحضر المهندسين فاختاروا مواقع
القصور وصيّر لكل واحد من أصحابه بناء قصر ، وخطط الشوارع الواسعة
المتدة الى مسافات طويلة ، واستحضر من كل بلد من يعالج العمارة والزراعة
وهندسة الماء واستنباطه ، وأقطعهم الأراضي وحشهم على البناء فنتجت عن
ذلك حركة واسعة النطاق في الانشاء ، واستعمل القوم ما بين أيديهم من
المواد الخام : فمن الطين صنعوا اللبن والآجر ، ومن الأتربة الكلسية صهروا
الجبص الذي طلبوا به الجدران التي تفننوا في زخرفتها . وقد أفرد المعتصم
للأتراك قطائع منعزلة عن الناس واشترى لهم الجوارى فأزوجهم منهن

(١) أصدرت مديرية الآثار القديمة في العراق كتابا عن هذا الاثر عنوانه
« القصر العباسي في قلعة بغداد » سنة ١٩٣٥

(٢) راجع « دليل تاريخي على مواطن الآثار في العراق » ، وقد كتب
الجزء الخاص ببغداد الدكتور مصطفى جواد . وطبع في بغداد سنة ١٩٥٢

ومنعمهم أن يتزوجوا أو يصاهروا الى أحد من المولدين الى أن ينشأ لهم الولد فيتزوج بعضهم الى بعض ، وأجرى الأرزاق لهؤلاء الجوارى التركيات ، وخط المسجد الجامع وأقيمت حوله الأسواق وجعل كل تجارة منفردة عن سواها ، وأقدم من كل بلد من يعالج مهنة من المهن : فمن مصر حمل من يعمل القراطيس ، ومن البصرة حمل من يعمل الزجاج والخزف والحصر ، ومن الكوفة حمل من يعمل الخزف والأدهان ، كما جلب أيضا أصناف الأشجار المثمرة من جميع البلدان وغرسها في البساتين . وأنزل هؤلاء الصناع جميعا بعيالهم وأقطعهم الأراضي ، وجعل لأهل كل مهنة سوقا خاصا بها في المدينة . وقد سكن سامراء خلفاء ثمانية هم المعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهدي والمعتمد ، وقد رصعوا جوانبها بالقصور والمساجد ثم هجرت هذه المدينة في سنة تسع وسبعين ومائتين هجرية بعد أن عمرت نحو نصف قرن (من سنة ٢٢١ هـ الى ٢٧٩ هـ) وبقيت خرائبها رهينة الإهمال حتى أشرق فجر القرن الحالي فنفضت معاول علماء الآثار الرمال عن قصورها ومساجدها البالية وانبعثت



١٨ - صورة راقصتين ، مرسومة على الجص ، من حفائر « سر من رأى » (العراق) - عن كونل

تلك القصور تحدثنا بتخطيطها وزخارفها عن عظمة العباسيين «١» . وقد استطاع هؤلاء العلماء أن يتعرفوا على مابقى من تلك الأبنية مثل دار الخليفة ، والمسجد الجامع ذي المنارة الملوية الذي على هيئته بنى مسجد ابن طولون في مصر ، وجامع أبى دلف ومئذنته الملوية أيضا والشارع الأعظم ، والمنقور أو قصر بلكوارا ، وقصر العاشق «٢» . وقبل أن نغادر العراق لا يجب أن تفوتنا زيارة قصر الأخيضر الواقع الى الجنوب من بغداد على مسافة مائة وعشرين كيلو مترا ، وقد استمد اسمه على أرجح الآراء من الموقع القائم فيه ، اذ يمتد بالقرب منه واد رملى يعرف بالوادي الأبيض تتجمع فيه المياه وتساعد على نمو الحشائش فتكسب الأرض خضرة ، ومن هنا جاء اسم هذا القصر . وقد كان يظن أنه سابق في وجوده على الاسلام ولكن الحفائر الأثرية التى أجريت فيه كشفت عن بقايا مسجد كان مشيدا بداخله فأصبح لامجال للشك فى أنه اسلامى ، وهو من عصر هارون الرشيد «٣» . ودخلت العراق بعد سقوط بغداد فى أيدي المغول فى دور الضعف والانحلال الا فترات وجيزة كانت تستيقظ فيها ، وحكمها الفرس ثم غزاها الأتراك العثمانيون .

فى ايران

واذا تركنا العراق الى ايران وجدنا هناك أمة سطرت فى سجل الحضارة الاسلامية أروع الصفحات ، فهى بلاد عريقة فى المدنية قضى الفتح العربى على دينها القديم وأضعف لغتها القومية وعندما استعادت هذه اللغة قوتها لم تستطع أن تتلخص من الحروف العربية فظلت تكتب بها حتى اليوم . وقد سادت الحضارة الايرانية العالم الاسلامى فى العصر العباسى بل لقد اتخذت مدينة مرو بحدى المدن العظيمة فى ايران — عاصمة للدولة العباسية

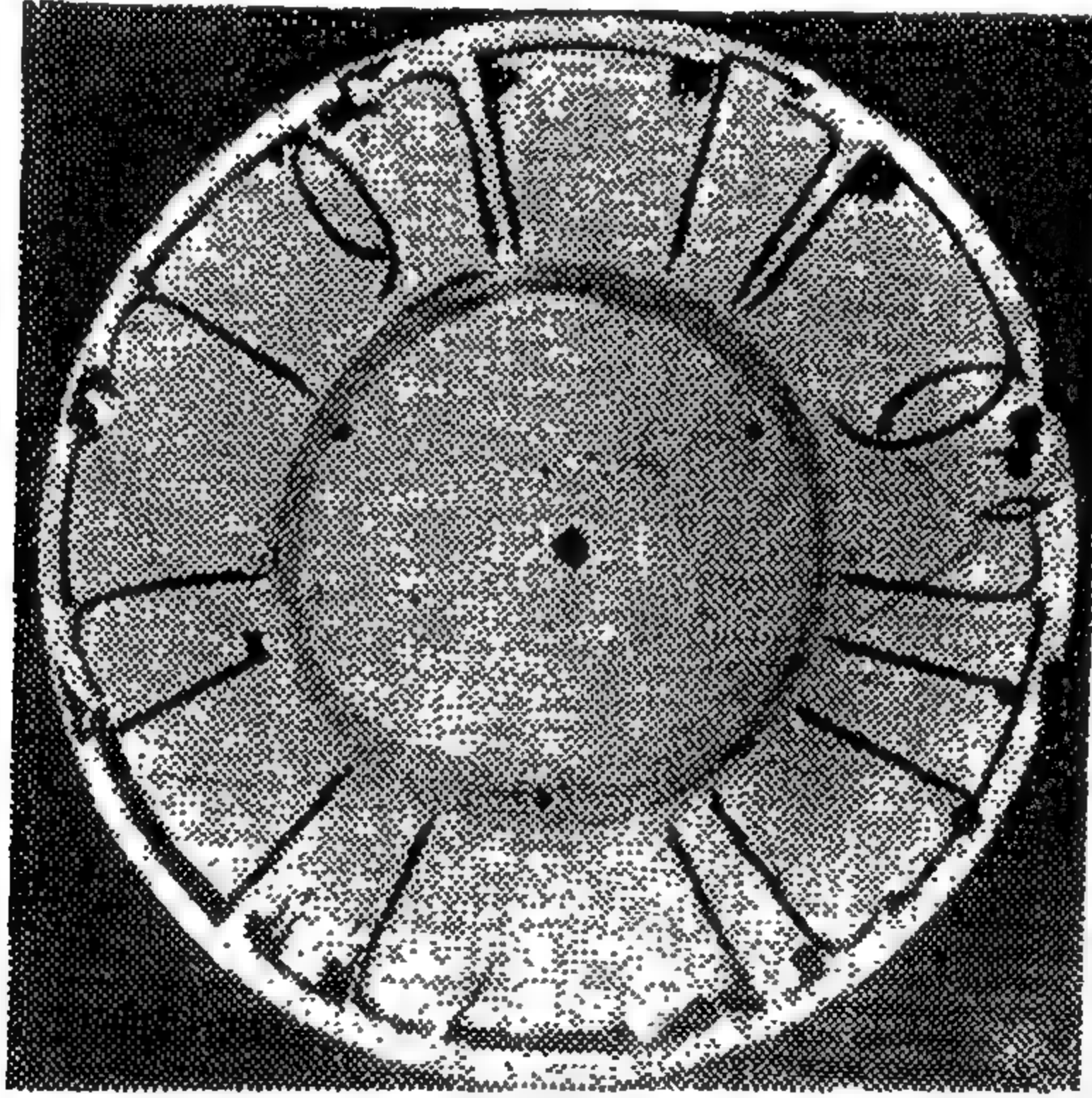
(١) Creswell, Early Muslim Architecture, vol. II p. 227-245, 254-270, 277-288, 361-369. (Oxford, 1940)

(٢) راجع « دليل تاريخى على مواطن الآثار فى العراق » بغداد سنة ١٩٥٢ وقد كتب الجزء الخاص بسر من رأى السيد بشير فارس . وراجع أيضا كتاب مديرية الآثار العراقية عن سامراء الصادر سنة ١٩٤٠ .

(٣) Creswell, op. cit, vol. II, p. 50-100

فترة من الزمن على عهد الخليفة المأمون . وقد مرت إيران في تاريخها الاسلامي بأدوار أربعة ينتهي الأول منها بالفتح السلجوقي ومن أهم آثاره المسجد الجامع بمدينة نايين «١» ، وقد قامت في خلال هذا الدور عدة دول صغيرة بعضها في الجانب الشرقي من إيران مثل الطاهرية والصفارية والسامانية ، وبعضها في الجانب الغربي مثل البويهية ، وقد تركت الدولة السامانية أقدم المشاهد الاسلامية المعروف بقبة الصليبية التي أقيمت في ضواحي بخارى وهي أول مآل للقبة الكبيرة التي تقوم في زواياها الأربع قباب صغيرة ، وقد شاع استعمال هذا الطراز في العمارات الهندية الاسلامية ، ويتجلى في هذا المشهد أيضا طريقة خلق الزخارف من الأوضاع المختلفة لقوالب الأجر عندما تستخدم في البناء «٢» . ومن آثار هذه الدولة أيضا آنية من الخزف تتحلى ببيت من الشعر نصه :

العلم أوله مر مذاقته * لكن آخره أحلى من العسل «٣»



١٩ - آنية من الخزف الايراني تتحلى ببيت من الشعر (إيران)

(١) راجع بحثا عن هذا المسجد بقلم

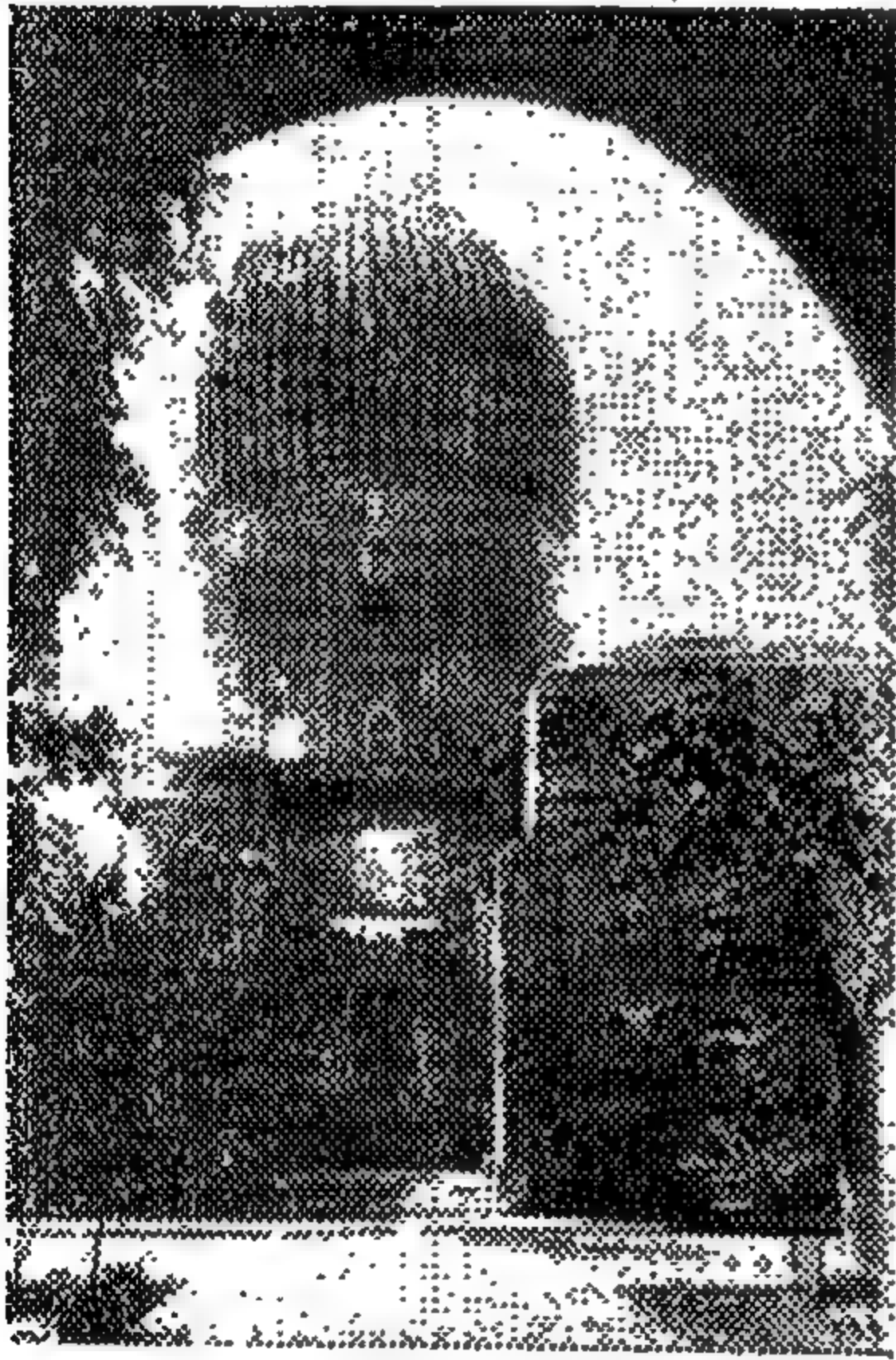
Violet et Flury, Un moment des premiers siècles de l'hégire en Perse, Syria, 2, 1921 p. 283-285.

(٢) Creswell, op. cit, vol. II, p. 283 - 285.

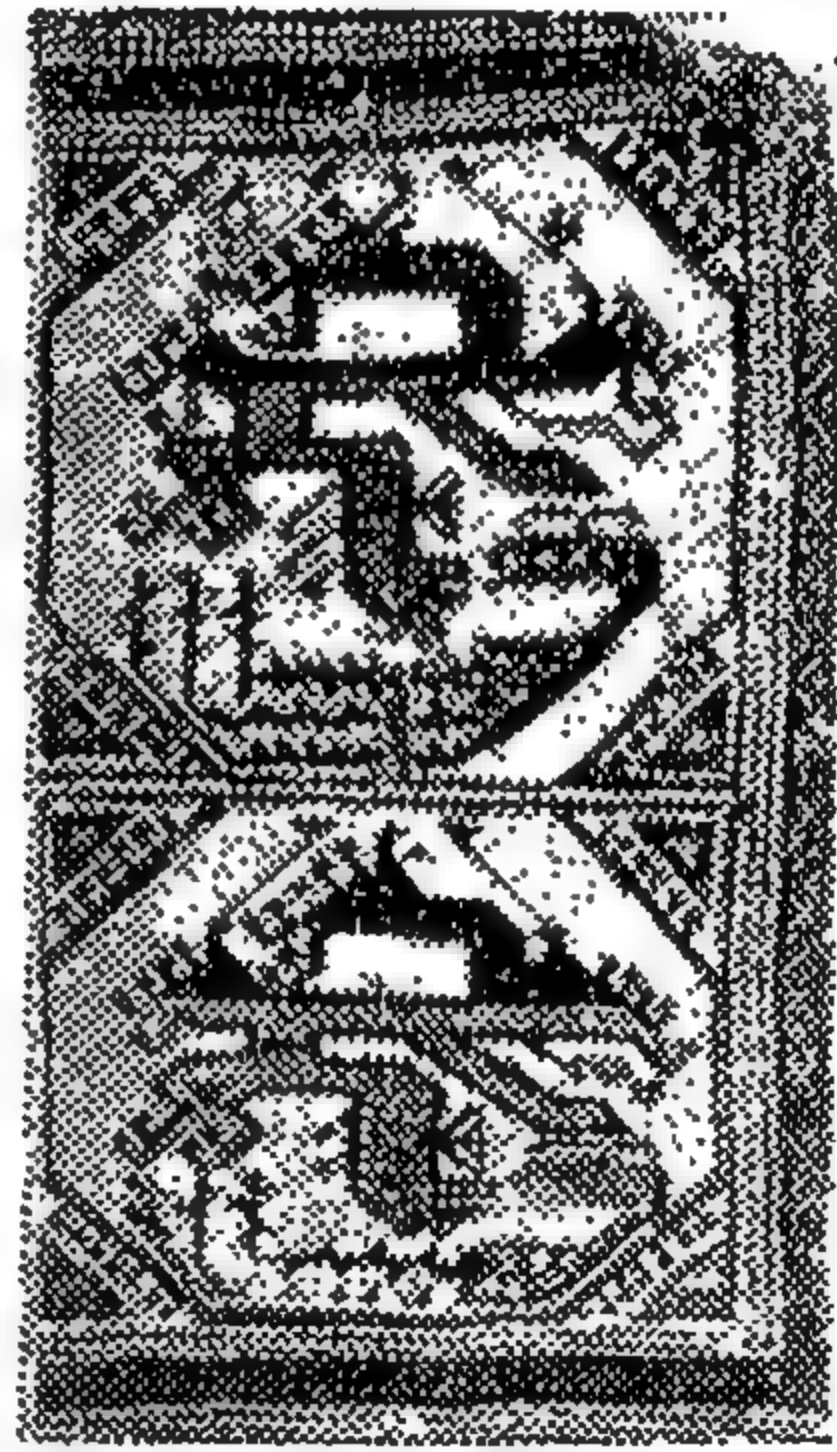
(٣) توجد كلمة السلامة بعد آخر هذا البيت من الشعر .

وهذا في الحقيقة مثال رائع يتجلى فيه الذوق المصنفي في صناعة الخزف، ويتجلى فيه كذلك ما يمكن أن يصل اليه الفنان من توفيق عظيم عندما يقتصر في زخرفة الأواني على الكتابة العربية وحدها * ومعرض بهذا المتحف أيضا قطعة من الحرير عليها اسم القائد « نكتجين » أحد قواد هذه الدولة « ١ » *.

ويشمل الدور الثاني العصر السلجوقي وقد وصلتنا منه آثار عدة أهمها المسجد الجامع في أصفهان ، والى السلاجقة ينسب فضل ادخال صناعة الطنافس في ايران ، ونستطيع أن نستخلص من صور المخطوطات الفارسية التي نشاهد في بعضها رسوما شتى للطنافس ثم من الطنافس التي وصلت إلينا من العصور اللاحقة أن الفرس سرعان ما أحذقوا هذه الصناعة وأقبلوا



٢١ - قبر تيمورلنك
في سمرقند (ايران)
عن جلك وديز

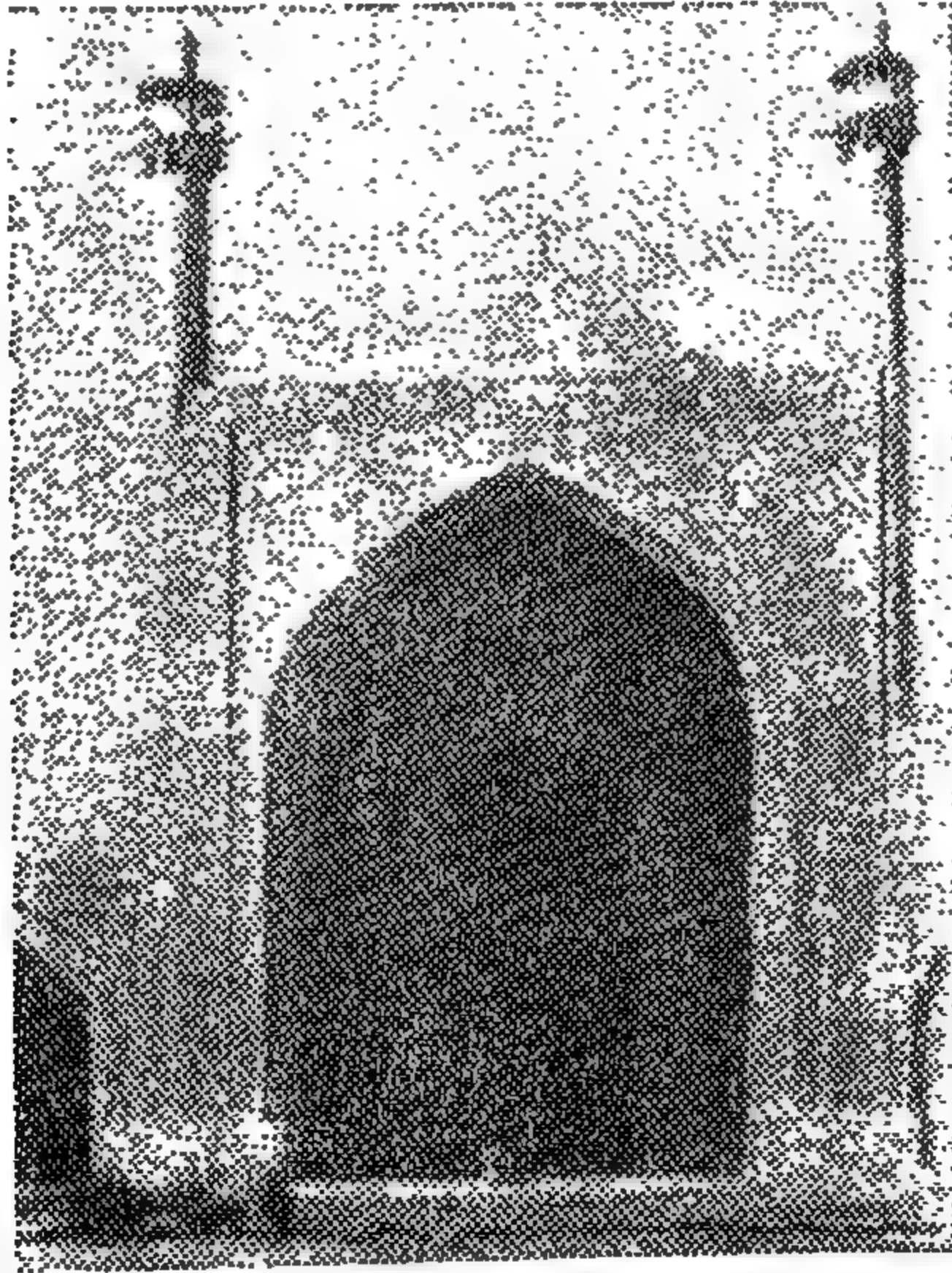


٢٠ - طنفسة التنين
والعنقاء (آسيا الصغرى)
عن كونل

(١) ابن الاثير : تاريخ الكامل ج ٨ ص ٢١٠ ، المطبعة الازهرية بالقاهرة
١٣٠١ هـ .

عليها وأنشأوا لها المناسج في أرجاء بلادهم فتقدمت وخطت في سبيل الرقى خطوات واسعة حتى سمت عن دائرة الصنعة الى مستوى الفن الجميل، كما ينسب الى السلاجقة أيضا فضل اذاعة الخط النسخ واستعماله على العمائر الاسلامية .

ومن الدور الثالث أو عصر المغول وصلت الينا بعض الآثار التي أهمها قبر تيمورلنك في مدينة سمرقند ومسجد جوهر شاد في مدينة مشهد والمسجد الجامع في مدينة يزد . وقد التقينا بالمغول من قبل عندما أسقطوا الخلافة العباسية بزعامه هولاءكو ، وقد أسس هذا المغولي في ايران الدولة الايلخانية التي اعتنقت الاسلام وأعجبت بالحضارة الايرانية الاسلامية فأقبلت عليها وانغمست فيها ، ولم يتنكر المغول لماضيهم بل ظلت صلتهم ببلاد الصين قوية ، وقد ترتب على ذلك أن أصبحت حضارتهم مزيجا من الحضارة الايرانية والحضارة الصينية التي أتت معهم من موطنهم الأصلي . ومات هولاءكو وانقسمت ايران الى دويلات صغيرة ، ثم ولد مغولي جديد



٢٢ - مسجد الشاه في أصفهان (ايران) - عن بوب

سنة ست وثلاثين وسبعمائة بعد الهجرة هو تيمور لنك الذى سطر فى تاريخ المغول صفحات مخضبة بالدماء ، فما كاد يبلغ سن الشباب حتى استأثر بالسلطة فى بلاده - ماوراء النهر - ثم زحف الى ايران وقضى فيها على الدويلات المختلفة وأخضعها لحكمه ، ثم تحول الى الهند ، ثم التحم مع الأتراك العثمانيين ، وقد خرب فى فتوحاته كثيرا من المدن الاسلامية الهامة . ونجح ابنه « شاه رخ » فى الاستيلاء على ايران وبلاد ماوراء النهر بعد وفاة أبيه تيمور ، واتخذ هراة عاصمة له فازدهرت فيها الفنون حتى قيام الدولة الصفوية .

والدور الأخير هو العصر الصفوى الذى يستمد اسمه من الشيخ صفى الدين أحد الأولياء فى مدينة أردبيل ، أما مؤسس دولة الصفويين فهو الشاه اسماعيل حفيد هذا الولي الذى اتخذ مدينة تبريز عاصمة له وجعل المذهب الشيعى مذهباً رسمياً لبلاده ، ومن أشهر ملوك هذه الدولة الشاه عباس الأكبر الذى اتصل بالدول الأوروبية ليحفظ التوازن بينه وبين الأتراك العثمانيين الذين كانوا فى ذلك الوقت ألد أعداء ايران لاختلافهم فى المذهب الدينى فالأتراك على المذهب السنى بينما الفرس على المذهب الشيعى ، وقد نقل الشاه عباس عاصمته من تبريز الى أصفهان ، ومن أجمل الآثار الاسلامية بها مسجد الشاه . هذا وللإيرانيين مهارة فائقة فى التصوير وفى كثير من الصناعات المختلفة ، ومتاحف آسيا وأوروبا وأمريكا ومصر غنية بمنتجاتها الفنية «(١)» .

فى الهند

وقصة الحضارة الاسلامية فى الهند تقع فى فصول رئيسية ثلاثة قامت بتمثيلها فرق ثلاث : فرقة عربية ، وفرقة تركية أفرادها من الغزنويين ، وفرقة مغولية . وقد اختصت كل فرقة منها بتمثيل فصل واحد من فصول هذه القصة : أما الفرقة العربية فقد ظهرت على مسرح الهند فى سنة احدى

(١) : Pope, A Survey of Persian Art, Oxford 1938

وزكى محمد حسن : الفنون الإيرانية - الطبعة الثانية (مطبوعات دار الآثار العربية ١٩٤٦) .

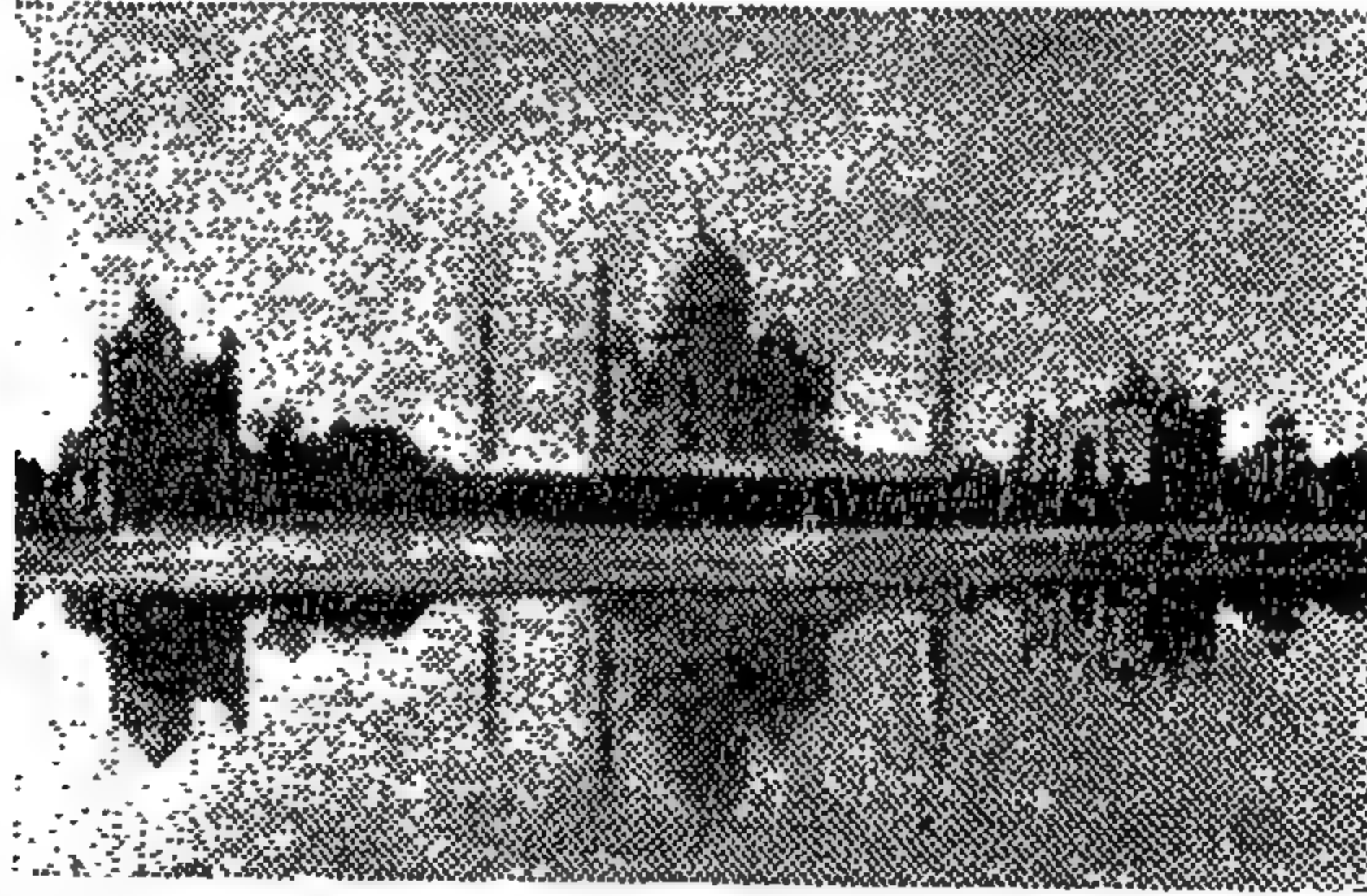
وتسعين هجرية وكان على رأسها محمد بن القاسم الذى نزل بجيشه أمام مدينة الديبل (كاراتشى الحالية) وسير جيوشه بحذاء نهر السند حتى أشرفت على وادى البنجاب . وفى الحق لقد خلّد محمد بن القاسم لنفسه فخر سبق فى فتح هذا الميدان الجديد أمام المسلمين ، ولم يلبث طويلا على خشبة المسرح ، وكأنما أراد بهذا الظهور الذى لم يستمر طويلا أن يلفت نظر الهنود الى تلك الأمة الفتية التى قامت الى غربى بلادهم ، والى ذلك الدين الجديد الذى أشرق فى الجزيرة العربية ثم انتشر نوره فى أرجاء العالم .

وفى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة هجرية نجحت الفرقة الغزنوية «١» فى الوصول الى المسرح ، وكانت الفكرة الاسلامية قد وجدت سبيلها الى قلوب بعض الهنود ، فلما ظهرت هذه الفرقة التركية استجاب لها البعض على استحياء ولكن قوة الممثلين قد رجّت المسرح رجّا وهزت المشاعر هذا وفتحت القلوب لهذا الدين الجديد فاستجابت له طواغية أو كرها . واستمر محمود الغزنوى الممثل الأول فى هذه الفرقة يكافح ويجاهد حتى دان له شمال الهند وشمالها الغربى ثم مات ، ولكن فرقته استمرت فى عملها ودخلت فيها عناصر جديدة وتسلم قيادتها قطب الدين أيبك الذى بنى مسجد قوة الاسلام تخليداً لذكرى استيلائه على دلهى سنة تسعة وثمانين وخمسمائة هجرية وهو من أعظم المساجد فى العالم . وقد نسج فى تشييده على المنوال الذى نسج عليه حكام المسلمين من قبل فجمع له العمد من المعابد الهندية القديمة وزينه بآيات من القرآن الكريم ، ثم المنار الذى أنشأه ولا يزال حتى اليوم يحمل اسمه فهو معروف باسم «منار قطب» «٢» ويعد أفخم بناء من نوعه .

(١) ينسب الغزنويون الى مدينة غزنة وهم من الاثراك وقد كانت لهم مملكة فى أفغانستان ، وأشهر ملوكهم سبكتكين الذى عنى بنشر الاسلام فى الهند وجاء بعده ابنه محمود الذى أتم غزو تلك البلاد .

(٢) Brown, Indian Architecture (The Islamic Period) Bombay, 1942, p. 6-12.

أما الفصل الثالث والأخير من هذه القصة فقد مثلته الفرقة المغولية
اذ أغار تيمورلنك - الذى عرفناه من قبل - على البلاد وبدأ فى حياتها عصرا
جديدا . وأعظم شخصية فى هذا العصر هو الملك (أكبر) الذى دام عهده
نحو من خمسين سنة كانت من أزهى عصور الاسلام فى الهند ، وقد
وصلت الينا آثار كثيرة نذكر منها على سبيل المثال المسجد الجامع فى
دلهى وقبر الملك أكبر بالقرب من أجرا وضريح تاج محل فى أجرا
نفسها «١» . وهذا الأثر الأخير يعد أجمل العماثر الاسلامية على الإطلاق
فى القرن الحادى عشر الهجرى ولذلك سنقف عنده قليلا نتأمل فى روعة
قصته وبهاء طلعتة وجمال تكوينه ودقة تصميمه . أمر بتشييده الملك
(شاه جهان) ابن الملك أكبر سالف الذكر لكى يضم رفات زوجته ورفاته
بعد مماته . ولانشائه قصة لحماتها الاخلاص وسداها الوفاء اذ تزوج الشاه
جهان بالأميرة (ممتاز محل) التى حرف اسمها فأصبح تاج محل وقد
رزقت منه بأربعة عشر ولدا ثم توفيت على أثر الوضع فحزن عليها حزنا
عميقا وواصل البكاء عليها ليلا ونهارا ، وعقد العزم على أن يخلّد هذا
الحب ، فاختار فى مدينة أجرا بقعة شيّد عليها هذا البناء الفخم وثقل رفات
زوجته اليه . وقد استغرق البناء اثنتين وعشرين سنة ، وكان يعمل فيه



٢٣ - ضريح تاج محل فى أجرا (الهند) عن جلك وديز

(١) Brown, op. cit. p. 95-119

عشرون ألف عامل ، وشيّد الضريح بالمرمر الأبيض ، وهو يتكون من قبة عالية تحتها قبران واحد للزوجة وواحد للزوج ، وأحيطا بحاجز من المرمر الأبيض نقشت فيه الزخارف نقشاً رائعاً ، وللضريح مآذن ضاربة في الفضاء ونوافذ قد سدت بمصبات ، وله مداخل أربعة كل مدخل منها يغطيه قبو جميل ، والعقود والنقوش مرصعة بالأحجار الكريمة ، وله ساحتان مكشوفتان في كل منهما حديقة غناء ويتصل به مسجد لطيف الشكل ، ويتجلى في البناء سمو الذوق واتزان الأبعاد والتناسب بين الأجزاء ، والتناسق في الزخارف والألوان ، فهو بحق أجمل عمائر الهند ومن أروع الآثار الإسلامية في الشرق وفي الغرب .

وينبغي أن نذكر ونحن نغادر الهند الى الصين أنها قد حذقت في العصر الإسلامي صناعات عدة منها صناعة المعادن لاسيما الحلى المرصعة بالأحجار الكريمة وصناعة التحف العاجية وصناعة المنسوجات لاسيما القطنية ذات الزخارف المطبوعة ، وفي المكتبة الأهلية بباريس وفي متحف الفن الإسلامي بالقاهرة أمثلة جميلة تشهد بهذه البراعة والمقدرة ، وصناعة الطنافس التي تقدمت على أيدي نساج من إيران شجعهم أباطرة المغول على الاستقرار في الهند قد تعلمها الهنود وأتقنوها وأنتجوا بدورهم طنافس يتجلى فيها جمال الفن الهندي الإسلامي . ولا نعجب من سرعة نضوج هذه الصناعات في الهند فقد كان لها تقاليد قديمة السابقة على الإسلام وقد دخلت اليها الحضارة الإسلامية بعد أن نضجت وازدهرت فساعد ذلك على سرعة النهوض الفني في الهند .

وفي ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٧ حدث في بلاد الهند حادث لا ينبغي أن نجهله ذلك أنها انقسمت الى دولتين : دولة الهند ودولة الباكستان ، وهذه الأخيرة يقع جزؤها الغربي في إقليم السند وما يحيط به ، وهي البقاع التي أشرق فيها الإسلام أول ما أشرق في الهند ومنها انتشر في باقي البقاع .

(١) راجع بحثاً للمؤلف عن طنافس الهند نشر في مجلة الهلال الجزء الخامس - أكتوبر سنة ١٩٤٤

في الصين

ولم يفتح العرب بلاد الصين كما فتحوا بلاد الفرس أو الهند أو غيرها من الأقطار الإسلامية ولكنهم اتصلوا بالصينيين عن طريق التجارة قبل الإسلام كما اتصلوا بهم أيضا في مناسبات شتى بعد الإسلام : اتصلوا بهم عندما أوفد امبراطور الصين أحد سفرائه الى الخليفة الثالث عثمان بن عفان لكي يدافع عن قضية فيروز بن يزدجرد آخر ملوك الفرس من الساسان الذي قضى العرب على ملكه وأرغموه على التخلي عن عرشه والخروج من وطنه، وقد رد الخليفة الرسول الصيني مع أحد قواده من العرب ردا كريما ، وأكرم الامبراطور الصيني وفادة الرسول العربي * واتصلوا بهم أيضا في عصر الخلافة الأموية في أيام الوليد بن عبد الملك عندما قام القائد العربي قتيبة بن مسلم والى خراسان بحملات حربية امتدت حتى الحدود الشرقية لبلاد الصين ، واتصلوا بهم كذلك في عهد الخلافة العباسية عندما عاون الخليفة المنصور أحد أباطرة الصين على استرداد عرشه الذي أقصى عنه على أثر ثورة قامت ضده «١» .

ولقد كان المسلمون في بلاد الصين أقلية ولذلك اندمجوا في السكان اندماجا تاما ، واصطبغوا بالصبغة الصينية في كل شيء تقريبا : في زيهم وفي حياتهم وفي أبنيتهم ، فشيدوا مساجدهم على طراز المعابد الصينية ولم تكن في الواقع تمتاز عن هذه المعابد في مظهرها الخارجي ، أما من الداخل فكل ما هنالك من الفرق هو وجود الأصنام في المعابد الصينية ووجود المحراب والمنبر في المساجد ، وقد شذ عن هذه القاعدة مسجد مدينة كانتون (خائفو) اذ بنيت له مئذنة ساذجة اسطوانية الشكل عاطلة من كل زخرف ، ويعتد هذا المسجد من أقدم المساجد في بلاد الصين ولكن هناك مسجدا آخر هو مسجد (جائع - آن) ينافسه هذا القدم ، ومن المؤرخين من يضعه قبل

(١) راجع عن علاقة العرب بالصينيين قبل الإسلام وبعده كتاب الدكتور سليمان حزين Arabia and The Far East ص ٢٦٥ - ٢٧٠ والمراجع التي يشير اليها (من مطبوعات الجمعية الجغرافية الملكية - القاهرة ١٩٤٢) .

مسجد كاتتون ، ومنهم من يضعه بعد هذا المسجد «أ» .
ولما أغارت قبائل المغول - أو قبائل التتار كما كان يسميهم الصينيون -
على بلاد الصين ، ثم أغارت على العالم الاسلامي كما عرفنا من قبل زادت
الصلات بين المسلمين والصينيين ، وهاجر الى بلاد الصين بعض الفرس
والعرب والأتراك وامتزجوا بالسكان ، ويشير ابن بطوطة في رحلته الى أن
« في كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بسكناهم ، ولهم
فيها المساجد لاقامة الجمعيات وسواها ، وهم معظمون محترمون » (٢) »
ومن أشهر هذه المساجد المسجد الجامع بمدينة « سيان فو » وقد
كانت هذه المدينة معروفة من قبل باسم (شانج نجان) وكانت عاصمة لبلاد
الصين كلها أو معظمها في عصور مختلفة «٣» .

وقد كانت للصينيين شهرة واسعة عند المسلمين في كثير من الصناعات
نذكر منها على سبيل المثال صناعة الخزف ، فقد كشف الأثريون عن قطع
كثيرة من الخزف الصيني في المدن الاسلامية القديمة ، ولم تكن هذه
الشهرة على غير أساس ، فلقد عرف عن الصينيين أنهم أعرق أمم الأرض
في هذه الصناعة ويكفي دليلا على ذلك أنها خلعت اسمها على المصنوعات
الخزفية فأصبحت تعرف باسم « الصيني » في اللغة العربية و China
في اللغات الاوربية . ولقد ذكر الرحالة العربي سليمان - الذي زار بلاد الصين
سنة ٢٣٨ هـ - أنهم يجيدون عمل « الغضار الجيد يصنعون منه أقداحا
في رقة القوارير الزجاجية مع أنها من الغضار » (٤) . وقد اعترف المسلمون
للصينيين بمهارتهم في صناعة الخزف ، فقال ابن الفقيه في كتاب البلدان

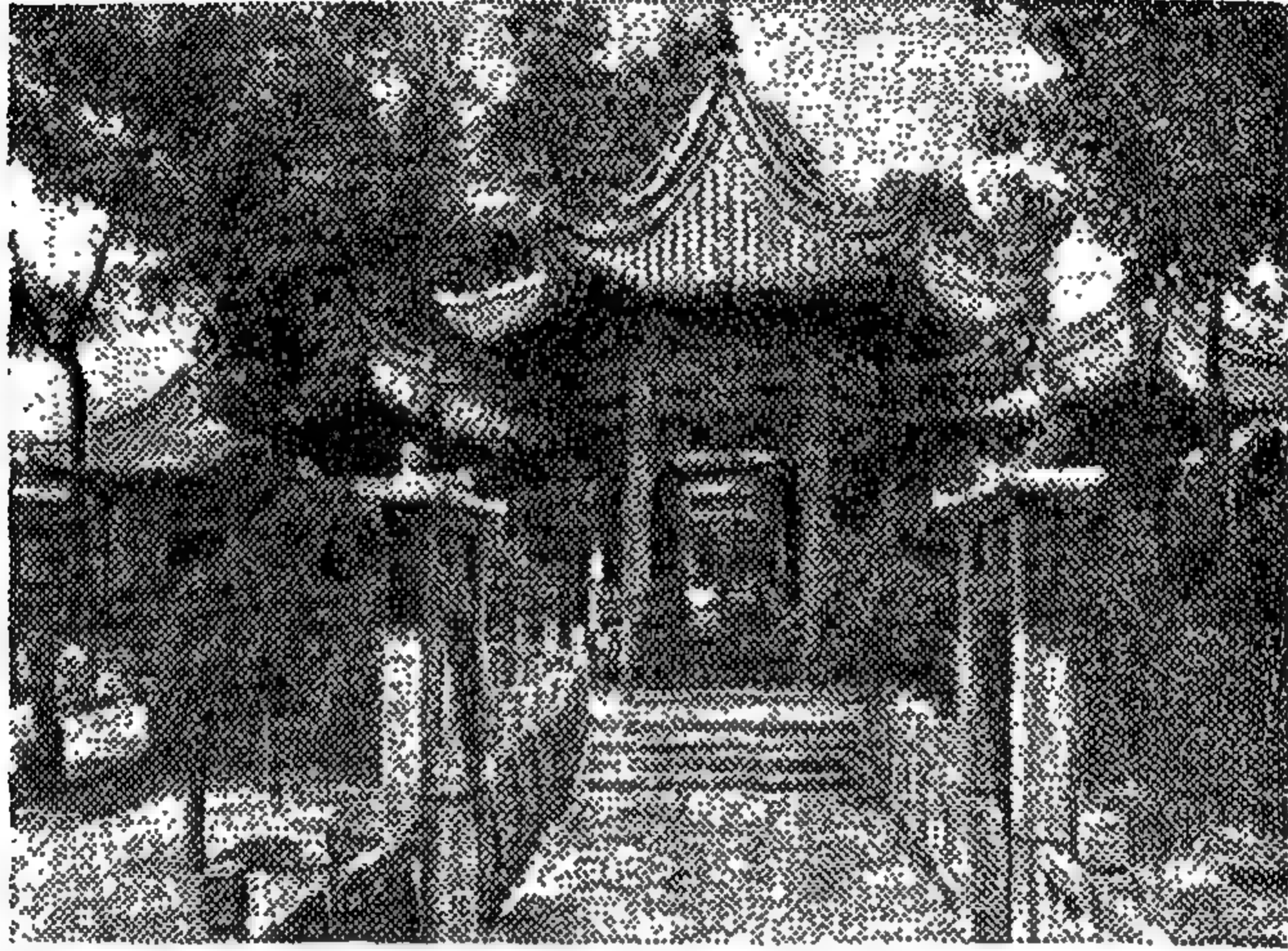
(١) بدر الدين حى الصينى : العلاقات بين العرب والصين ص ١٦٩-١٧٧
والمراجع التي يشير اليها (طبعة مصر سنة ١٩٥٠) .

(٢) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ج ٢
ص ١٥٩ طبعة القاهرة .

(٣) راجع عن هذه المدينة ص ٦١ و ٧٦ و ١٠٢ و ١٦٦ و ٢٦٦ من كتاب الدكتور
سليمان حزين سالف الذكر .

(٤) وصل اليينا وصف رحلة التاجر العربي سليمان في بلاد الهند والصين
الذي كتبه في سنة ٢٣٨ هـ (٨٥١ م) وقد أضيف الى هذا الوصف ذيل =

« ان الله خص أهل الصين بأحكام الصناعة وأنه منحهم في ذلك ما لم يمنحه
غيرهم فكان لهم الحرير والغضائر الصينى (١) » •



٢٤ - المسجد الجامع في مدينة « سيان فو » (الصين) - عن كونل

= كتبه أبو زيد حسن في نحو سنة ٣٠٩ هـ (٩٦١م) وقد نشر هذه الرحلة
وذيّلها المستشرق رينو Reinand في سنة ١٨١١ م ، مع ترجمة فرنسية لها
سنة ١٨٤٥ ، ولخصها المستشرق فران Ferrand في مجموعة الرحلات
والنصوص الجغرافية العربية والفارسية والتركية الخاصة بالشرق الأقصى ،
وقد ترجمها الى الفرنسية وعلق عليها ونشرها في مجلدين سنة ١٩١٣ - ١٩١٤
Relations de voyages et textes géographiques arabes, persans et turks
relatifs à l'extrême orient du VIII-XVIII siècles traduits, revus et
annotés par Gabriel Ferrand, Paris 1913-1914.

وراجع أيضا زكي محمد حسن : الصين وفنون الاسلام . (القاهرة ١٩٤١)
(١) ابن الفقيه : البلدان ص ٢٥١ طبعة ليدن

الفن الاسلامى

(نشأته وعوامل نموجه)

والآن بعد هذه الرحلة الطويلة التى بدأناها من أقصى العالم الاسلامى فى الغرب وانهينا منها الى أقصاه فى الشرق قد آن لنا أن نستقر وأن نستريح ثم نستعرض فى أذهاننا صورة العرب وقد خرجوا من صحرائهم وليس عندهم من مقومات الحياة الاجتماعية الا عناصر بسيطة ، وصورتهم وقد انتصروا بفئتهم القليلة وحضارتهم الساذجة على تلك الأمم العظيمة العريقة فى القدم ، وصورتهم وقد آثروا أن يبدأوا حضارتهم الجديدة من حيث انتهى السابقون عليهم فلم تستخفهم نشوة النصر الى القضاء على مالم يكن مألوفاً لديهم بل ثبتوا أركان النظم التى كانت سائدة بين الأمم التى أخضعوها مادامت لا تتعارض مع المثل العليا للإسلام ، وتلك لعمرى الحق ميزة من مزاياهم اكتسبوها — أغلب الظن — من بيئتهم الجغرافية «^١» التى دفعتهم الى الاشتغال بالتجارة مع الرعى ليتغلبوا على فقر بيئتهم ، وقد مهد لهم هذا الاشتغال بالتجارة سبيل الاختلاط بغيرهم من الأمم كما علمهم احترام أديان الغير ، فقل تعصبهم واكتسبوا مرونة فى أخلاقهم وأصبح لهم استعداد واضح لقبول كل جديد عليهم اذا ما اقتنعوا بفائدته .

(١) من خير ما يوضح هذه الميزة من مزايا العرب أن نقارنهم بأمة أخرى كالأتراك مثلاً ، فالعرب كما ذكرنا قد اضطروا بسبب فقر بيئتهم الى الاشتغال بالتجارة والرعى معاً أما الأتراك فقد اقتصروا على الرعى وحده لتوفر الخيرات فى بيئاتهم فلم تعد لهم حاجة الى الاتجار مع غيرهم وبذلك استقلوا عن العالم الخارجى فى جميع شئونهم وأصبحوا متعصبين لعقائدهم ، شديدي الحرص على عاداتهم ، يحتقرون غيرهم ، ويؤمنون بأنهم أفضل الأمم . وقد أيد التاريخ هذه الحقيقة الجغرافية فالعرب عندما غزوا مصر قضوا فيها على لغة أهلها وعلى دين الاغلبية منهم وطبعوا البلاد بطابعهم بينما الأتراك قد دخلوها وخرجوا منها وكأنهم لم يكونوا فيها مع أنهم قد مكثوا بها ثلاثة قرون أو تزيد.

وما كاد العرب يضعون عن گواهلهم عتاد الحرب ، ويطمثون الى السلم حتى تدفقت عليهم الثروة من كل حذب وصوب ، وهموا يخرجون عن بداوتهم ولكن أبا بكر وعمر كانا لهما بالمرصاد فكبحا جماحهم ما استطاعا الى ذلك سبيلا ، ثم جاء عثمان وكان حيا ليّنا فأفلت الزمام من يده ، وكانت البيئات الجديدة التى استقر فيها العرب قد أخذت تؤثر فى نفوسهم وتغريهم بالحياة المترفة ، فاندفعوا مع التيار ، وحرصوا على الاستمتاع بالحياة فتأنقوا فى مأكلاتهم وفى ملبسهم وفى مسكنهم ، وبدأت تختفى بالتدريج تلك الدور الساذجة التى سكنوها من قبل لتحل محلها قصور منمقة الجدران فخمة الأثاث ، ثم أحسوا وهم ينعمون بهذه الحياة الجديدة بما بين قصورهم ومساجدهم من بون شاسع ، فأقبلوا على المساجد يرفعون من شأنها بتشبيدها وتنميقها اجلالا لها وتعظيما لقدرها وبعدا بها عن مواطن الاستهانة اذا ما قورنت بقصورهم الجميلة ، أو بتلك الكنائس الرائعة التى شاهدوها فى البلاد التى فتحوها . وقد كان مسجد المدينة أول مسجد يلبس ثوبا من الجمال الفنى على يدى الخليفة الثالث عثمان بن عفان اذ أعاد بناءه بالحجارة المنقوشة والقصة أى الجص ، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بخشب الساج وحسنه «أ» أى أنه جعل منه أثرا فنيا جميلا ترتاح له العين ويسر به خاطر، وهكذا ولد الفن الاسلامى على يدى عثمان بن عفان .

وأقبل المسلمون فى عصر الدولة الأموية على التشييد والتعمير ، واستعانوا فى ذلك برجال الصناعة والفنون فى الأمم التى فتحوها ، وأسبغوا عليهم رعايتهم ، ووجد أولئك الفنانون فى ظل الحكام الجدد اعجابا بأعمالهم وتقديرا لما تخرجه أيديهم من أبنية قائمة أو تحف منقولة ، وكان طبيعيا أن تتحلى هذه التحف وتلك الأبنية بزخارف الفن البيزنطى فى الشام ومصر وبلاد المغرب ، وبزخارف الفن الساسانى فى العراق وإيران ، وقد يجتمع

(١) Creswell, op. cit. vol I., p. 31 والمراجع التى يشير اليها .

كلا الفنانين في أثر واحد اذا ساهم في انشائه وزخرفته فنانون من الرعايا السابقين لكل من يزنطه وايران ، والآثار التي شاهدناها في رحلتنا في بلاد الشام - وهي أقدم الآثار الاسلامية وجودا - تفصح بتصميمها وزخارفها عن هذه الحقيقة اذ تتلاقى فيها العناصر الفنية لكل من الفنانين السابقين ، فهي تزدان بمزيج من زخارف الفن البيزنطي وزخارف الفن الساساني ، تزدان بخليط لم يمتزج بعد امتزاجا تاما ، ومن السهل بعد قليل من المران أن يتعرف الانسان على عناصر كل فن ، فالفن الاسلامي الصحيح كان لا يزال وليدا يجبو ولم يستقم عوده بعد .

وازداد تقدم المسلمين في الدولة العباسية ، ولمسنا هذا التقدم عند انشائهم لبغداد التي خططوها على نمط جديد غير مألوف . وكشفت الحفائر الأثرية في أطلال سامراء عن زخارف جديدة لها طابع خاص يميزها عن غيرها ، وأقبل علماء الآثار على دراستها دراسة تفصيلية وقسموها الى طرز شتى « ١ » ، وذاعت هذه الطرز في معظم العالم الاسلامي ، ولم يقتصر استعمالها على تجميل الجدران المغطاة بالجص بل زينت بها الأخشاب والمنسوجات والزجاج وأصبحت هذه الطرز وسيلة تساعدنا على تأريخ ما قد يصادفنا من أبنية وتحف مجهولة التاريخ .

وضعت الدولة العباسية ، وانقسم العالم الاسلامي الى دول كثيرة يجمعها الدين وقد تجمعها اللغة في بعض الأحيان ، وبعد أن كان الفن العباسي أو فن سامراء هو صاحب المقام الأول في زخرفة العمائر والتحف ، وكانت الفنون المحلية - اذا ما استعملت - في المحل الثاني من الأهمية ، انعكست الآية وبدأت هذه الفنون المحلية تتطور وتنضج وتشق طريقها معتمدة في ذلك على ما ورثته من تقاليد فنية قديمة وما أتى به المسلمون عند الفتح أو بعد ذلك من موضوعات زخرفية اكتسبوها من البلاد الاسلامية

(١) زكي محمد حسن : الفن الاسلامي في مصر - ص ٢١ - ٣٤ (مطبوعات دار الآثار العربية سنة ١٩٣٥ والمراجع التي يشير اليها)

الأخرى • وبهذا قد أصبحت لدينا طرز اسلامية شتى تختلف في مظهرها تبعاً للوطن الذي نشأت فيه وتتفق في كمون الروح الاسلامية فيها ، فهناك مثلاً الطراز المغربي والطراز الاندلسي والطراز المصري والطراز السلجوقي والطراز العثماني والطراز الايراني والطراز الهندي ، ودراسة كل واحد من هذه الطرز تفتقر الى بحث قائم بنفسه ، على أننا نستطيع أن نعطي هنا — على سبيل المثال — كلمة موجزة عن الطراز المصري الاسلامي •

فالفن الذي كان سائداً في مصر منذ فتحها العرب حتى قيام أحمد بن طولون هو الفن القبطي الذي هو أحد الفرعين الرئيسيين للفن البيزنطي ، ولاغربة في ذلك لأن التغيير الفني لا يتبع حتماً التغيير السياسي ، والحدود التي تفصل العصور السياسية ليست هي بعينها الحدود التي تفصل العصور الفنية لأن التطور الفني بطيء يفتقر الى وقت طويل لكي ينمو ويظهر • وفي العصر الطولوني ساد الفن العباسي واختفى الفن المصري ، وفي العصر الفاطمي عاد الفن المصري الى الظهور قوياً جلياً بعد أن تسربت اليه بعض العناصر الفنية التي حملها الفاطميون معهم ، وفي العصر الأيوبي دخلت عناصر أخرى حملها الأيوبيون — وهم من السلاجقة — الى البلاد ولكن ظلت روح الفن المصري قوية ، وفي عصر المماليك بلغ الفن المصري الاسلامي غاية نضجه وتجلى بصوره الرائعة فيما وصلنا من عمائر وتحف تزدان بها القاهرة ومتحفها الاسلامي ، ثم توقف هذا الفن عن النمو وظهر في البلاد الفن العثماني المتأثر بفن الركوكو Rococo «^١» الأوربي ، ويتجلى هذا واضحاً في زخارف مسجد محمد علي •

وهكذا ورث العرب الحضارات والفنون القديمة وتمثلوها حق التمثيل وصهروها في بوتقتهم وأخرجوا منها بعد ذلك حضارة جديدة وفنا جديداً • ولقد عاون الدين الاسلامي بما تضمنه من نظم وتوجيهات على نضوج هذه الحضارة وسمو ذلك الفن •

(١) Reinach, Apollo, An Illustrated Manual of the History of Art throughout the Ages, London, 1928. p. 142, 144, 146.

فالحج ، والوقف ، والحسبة وموقف الاسلام من استعمال الذهب والحرير ، وموقفه من فنون الخط والزخرفة والتصوير والنحت كان لها في الحضارة المادية من صناعة وفن أثر لا سبيل لانكاره .

أما الحج فهو أحد الأصول الخمسة التي بنى عليها الاسلام ، وهو فرض على كل مسلم يستطيع القيام به دون ارهاق أى أنه أمر للاغنياء بالسفر الى مكة حيث يجتمعون بغيرهم من المسلمين فيرون ألوانا شتى من الحضارة المادية ممثلة في السلع المختلفة المصنوعة من القماش أو الخزف أو الخشب أو المعادن أو الزجاج أو العاج ، ويتبادل الحجاج هذه السلع عن طريق الاهداء أو التجارة ، وقد يجتمع رجال الصناعة بعضهم ببعض ويتشاورون في طرق الصناعة لديهم ويحملون معهم أسرار الصناعة في البلاد المختلفة ويؤثرون بذلك في مصنوعاتهم المحلية .

وأما الوقف فنظام نشأ في الاسلام استنادا الى أحاديث عدة أثرت عن النبي من أشهرها ذلك الحديث الذي ملخصه أن عمر بن الخطاب أصاب أرضا بخير فأتى النبي يستأمره فيها فقال له ان شئت حبست أهلها وتصدقت بريعها (١) ، ومنذ عهد عمر ونظام الوقف مستمر ، وقد اتسعت أغراضه حتى شملت معظم نواحي الإصلاح الاجتماعي فحبست الأعيان على المساجد والمدارس والبيمارستانات ، وعلى المساكين ، وعلى الذين وهبوا حياتهم للعلم أو للدين ، والذي يهمنا من هذا النظام هو أن أول قواعده وأهمها عمارة الأعيان المحبوسة لضمان بقائها ودوام استغلالها . ونحن في الواقع ندين له بالكثير مما وصل إلينا من روائع العمائر والتحف الاسلامية ، كما ندين له أيضا بما نجده في الوقفيات من وصف دقيق لهذه العمائر ، وبما نعر عليه من الاصطلاحات الفنية . فهذا النظام في الحقيقة قد ضمن استمرار نشاط الصناع والفنانين ، كما ضمن اضطراد حركة التطور في الفنون المختلفة فلولا تلك الأموال التي أوقفت على العناية بالمنشآت لصاع هذا

(١) صحيح البخارى : كتاب الشروط ب ١٩ ج ٣ - وكتاب الوصايا ب ٢٢ و ٢٨ - ج ٤ (طبعة بولاق ١٣١٤ هـ) .

التراث العظيم •

والحسبة وظيفة أوجدها الاسلام عندما رأى أن الانسان لاغنى له عن التعاون مع غيره وأدرك أنه لكي يستقيم أمر الجماعة لابد من إيجاد سلطة تلزم كل انسان حده ولا تترك مجالا للعبث بمصالح الناس ارضاء لشهوة جامحة أو نزوة طارئة ، وقد استمدت وجودها من آيات قرآنية عدة نجدها مفصلة في كتب الحسبة «١» ، وقوام أعمال المحتسب بجميع مايتصل بحياة الناس المدنية والدينية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويهمنها منها هنا أنها تدخلت في شئون جميع الصناعات ورسمت للصناع السبيل السوى الذى ينبغى أن يسلكوه ، فالنساج والنجار والخزاف والوراق وغيرهم من الصناع لهم منهج خاص عليهم أن يتبعوه حتى يأمنوا عقاب المحتسب في الدنيا وغضب الله في الآخرة ، وروح هذا النهج اتقان العمل والاخلاص فيه وتجنب الغش والتدليس ، ولهذا أثره في تحسين المنتجات الصناعية والعمل على رفع مستواها والعناية باخراجها في أحسن صورة ممكنة . وقد خطت الصناعات الاسلامية بفضل اشراف المحتسب خطوات واسعة في سبيل الرقى حتى بلغت الغاية القصوى وسمت عن دائرة الصنعة المألوفة الى مستوى الفن الجميل •

وموقف الاسلام من استعمال الأواني المصنوعة من الذهب أو من الفضة ، ومن لبس الحرير ، قد نظمته الأحاديث النبوية دون القرآن الذى لم ترد فيه آيات تحرم استعمالها •

أما الأواني المصنوعة من الذهب أو الفضة فالتحريم فيها ورد صريحا في الأحاديث «٢» ، وقد كان هذا التحريم من العوامل المساعدة على ابتداع

(١) عبد الرحمن بن نصر الشيزرى : نهاية الرتبة في طلب الحسبة - نشر السيد الباز العرينى (القاهرة ١٩٤٦) والمراجع التى يشير الناشر اليها .

(٢) نذكر على سبيل المثال حديثا جاء فيه « الذى يشرب في اناء الفضة انما يجر جر في بطنه نار جهنم » - كتاب الاطعمة ب ٢٧ . ومما جاء في حديث آخر « لاتشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فانها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة » كتاب الاشربة ب ٢٧ (صحيح البخارى - بولاق ١٣١٤هـ)

الخزف المعروف عند المشتغلين بالآثار باسم الخزف ذى البريق المعدنى Lustre pottery وهو خزف عادى عالجه الخزاف المسلم بوسائل صناعية واستطاع أن يخلق منه أوان لها بريق الذهب والفضة وفيها جمال الاخراج والصنعة ، وقد انتشرت صناعته فى العالم الاسلامى وبلغت حد الكمال فى العراق ومصر والاندلس . وقد أدى هذا التحريم أيضا الى ابتكار طريقة جديدة فى الصناعة هى تطعيم الأواني المصنوعة من النحاس أو البرنز بالذهب أو الفضة ، وهذا التطعيم أضفى على هذه التحف جمالا فنيا يتضاءل بجواره جمال الأواني المتخذة من الذهب الخالص أو الفضة الخالصة

أما الحرير فكان استعماله شائعا قبل الاسلام شيوعا أخاف رجال الكنيسة ودفع بهم الى العمل على منع الناس من استعماله لما فيه من تبذير وامعان فى الترف الأمر الذى لا يتفق مع مبادئ الدين المسيحى «^١» ولكنهم فشلوا فى محاولتهم هذه واشتد اقبال الناس على لبس الحرير . وعندما جاء الاسلام واجهته هذه المشكلة فوقف منها موقفا كان من أثره أن تقدمت صناعة الحرير على أيدي المسلمين ، فهو لم يحرم استعمال الملابس الحريرية كما يدعى كريستى خطأ «^٢» ، ولكنه نظم استعمالها فأباحها للنساء من غير قيد ولا شرط «^٣» ، ورخص للرجال فى ارتدائها عند الضرورة «^٤» ، كما رخص أيضا فى ارتداء الثوب اذا كان به من الحرير قدر أصبعين أو أربعة أصابع «^٥» ، وكان من أثر ذلك ظهور طريقة جميلة فى زخرفة المنسوجات

Clement of Alexandria, Paedag. II, 10.

(١)

Christie says, «Although silken garments have been specifically prohibited by the Prophet, the Muslims not only encouraged existing silk factories but established new ones whenever they went. So shameless and unrestrained was their interest in the forbidden luxury that they rapidly and surely gained a dominating position as leading silk-mercers in the medieval world». - Legacy of Islam p. 133.

(٣) صحيح البخارى كتاب اللباس - ب ٣٠ .

(٤) نفس المرجع ب ٢٩ .

(٥) نفس المرجع ب ٢٥ .

تعرف بطريقة التابستري Tapestry. ولم تكن الرغبة الجامحة في الاستمتاع بما حرمه الله - كما يقول كريستى - هى التى جعلت المسلمين ينعنون بالحرير وابتاعه ويملكون زمام صناعته ، وينشرون هذه الصناعة فى مشارق الأرض ومغاربها ، ويصبحون بحق زعماء تجارته فى العصور الوسطى ولكن هذا التنظيم الذى أتى به الاسلام هو الذى جعل للمسلمين هذه المكانة الممتازة فى صناعة الحرير وتجارته .

وقد وقف الاسلام من فنون الخط والزخرفة والنحت والتصوير مواقف مختلفة ، فقد آثر الخط برعايته ، وحجب الى الفنان نوعا من الزخرفة ، ولم يشجع على النحت والتصوير .

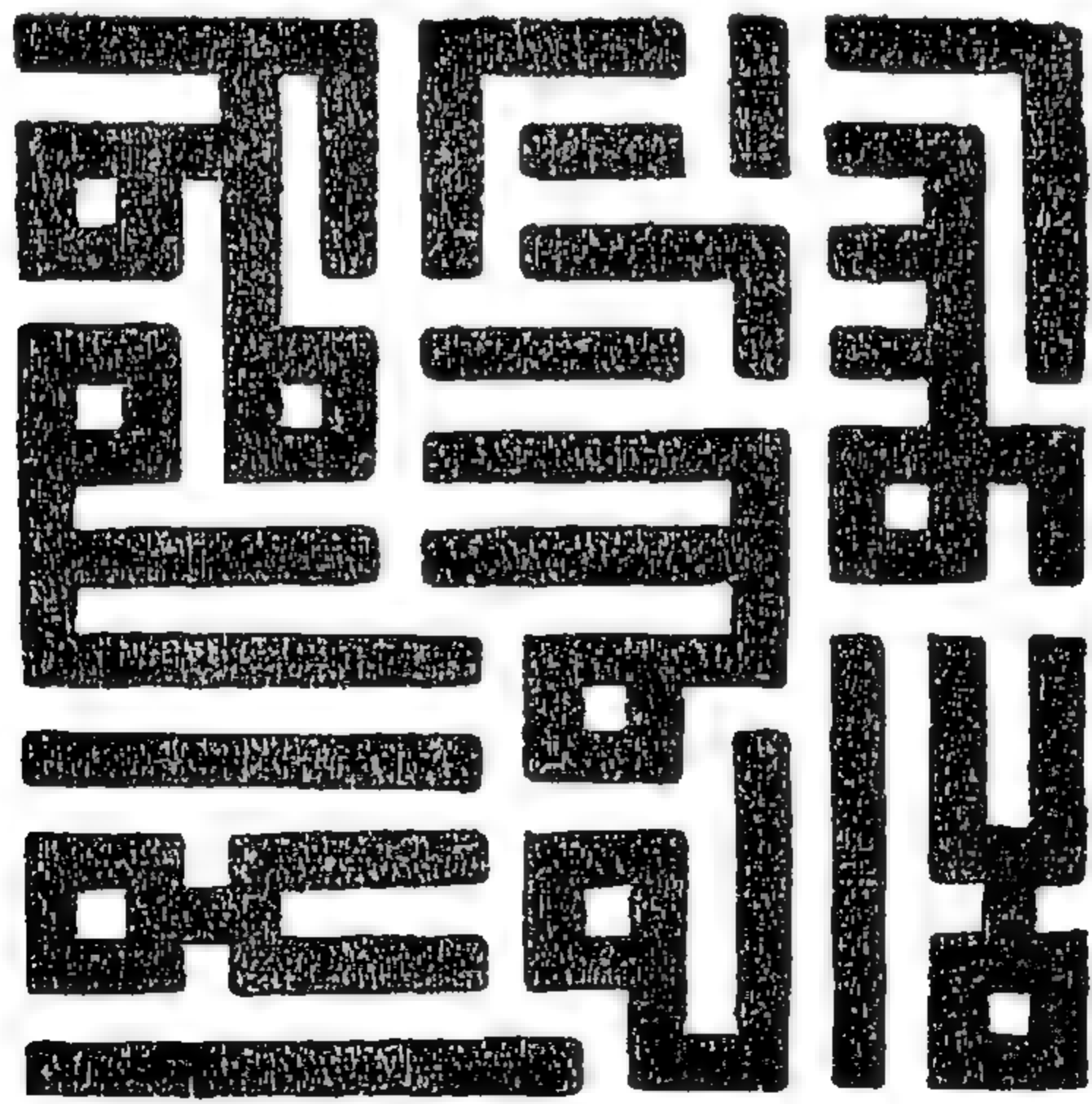
وقد خص الاسلام الخط برعايته لأنه وثيق الصلة بالدين أقسم به الله فى كتابه الكريم فى سورة القلم وشرفه فى سورة العلق ، وقد نسب علماء التصوف - كما يقول ابن خلدون - الى الحروف العريضة أسراراً خفية ، فهى تجلب - كما يدعون - الخير والبركة « ١ » ، وقد دفعت هذه العقيدة بالفنانين من المسلمين الى تزيين ما أخرجته أيديهم من المصنوعات



٢٥ - البسملة بالخط الكوفى من عصور مختلفة - عن يوسف أحمد

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٩-٤٤٥ (المطبعة البهية المصرية) .

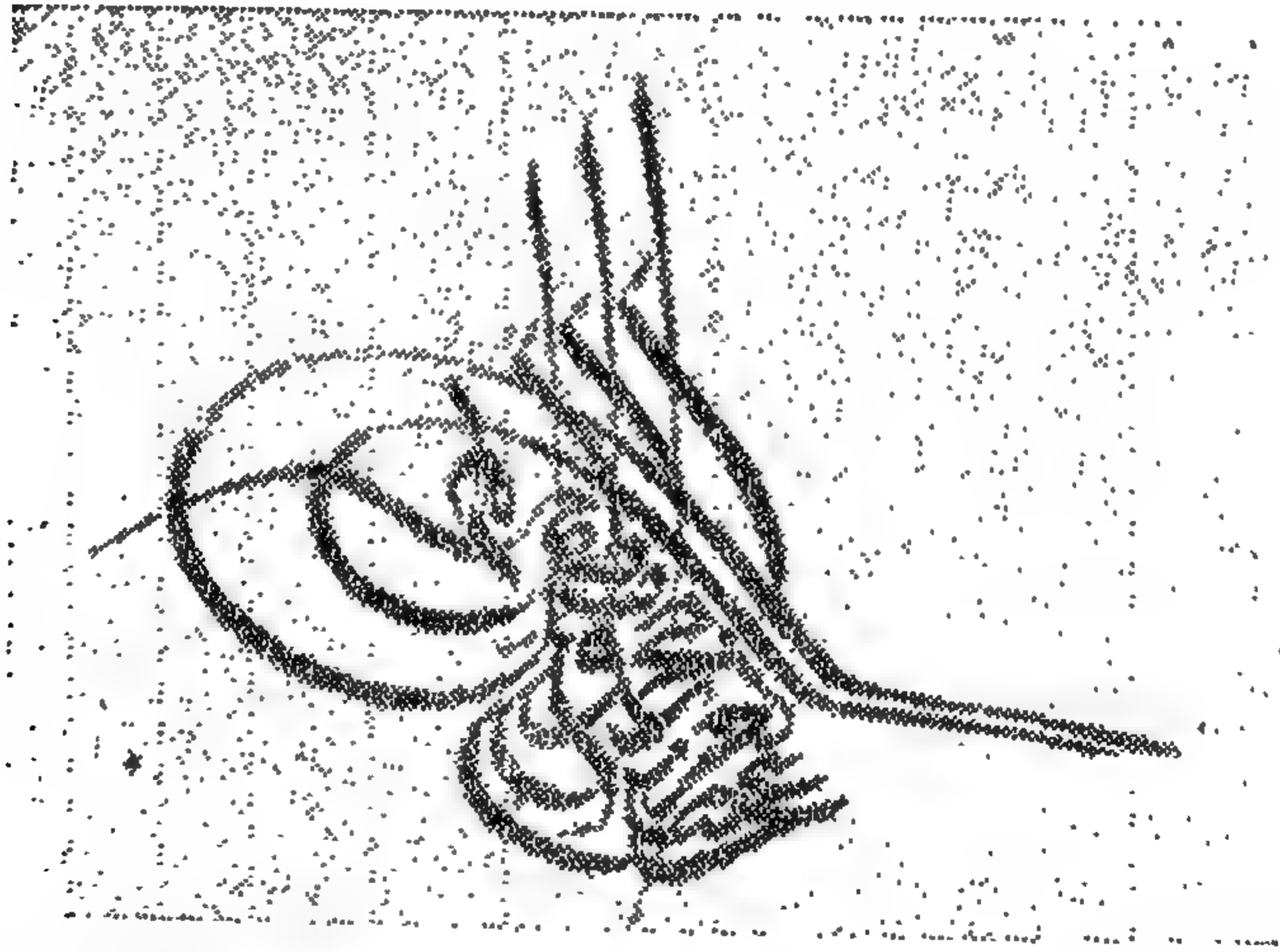
وماشيدوه من العماثر بالآيات القرآنية وبالعبارات الدينية وبالصيغ المختلفة للمدح أو الدعاء، وأصبح الخط مضروباً مشتركاً في جميع فروع الفن الإسلامى: نراه على الخزف وعلى الخشب وعلى العاج والزجاج وعلى الطنافس والأقمشة كما نراه على جدران المساجد والقصور • وللخط العربى سبع صور : خط النسخ وهو الذى استعمل فى الحياة اليومية للأغراض المختلفة، وقد تطورت صورته ، ومنذ أواخر القرن الخامس الهجرى بدأ استعماله على الآثار وفاز بمكان الصدارة فيها وللسلاطنة الفضل فى ذلك • والخط الكوفى ينسب الى مدينة الكوفة التى كانت من أهم مراكز الثقافة العربية، وقد استعمل فى كتابة المصاحف كما استعمل على الأبنية والتحف ، ولم تعد تكتب به النصوص التاريخية على الآثار بعد أن حظى الخط النسخ بمكان الصدارة • ولكى نعرف أصل الخط التلث ينبغى أن نذكر أن العرب كانت تكتب على الدرج أى الملف المتخذ من البردى أو الورق أو الجلد ، وكان سدس الدرج يسمى الطومار وكان يكتب عليه بخط كبير يسمى خط الطومار «أ» ، وقد تولد عن هذا الخط خط أصغر منه يبلغ ثلثه هو



٢٦ - « لا اله الا الله محمد رسول الله » بالخط الكوفى المربع عن أنس

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ص ٥٣-١٠٣ ج ٣ (القاهرة ١٩١٤) ،

الذى عرف بخط الثلث • وخط التعليق وهو المعروف عندنا بالخط الفارسي وخط النستعليق وقد ولّده الفرس من الخط النسخ وخط التعليق «١» • وخط الرقعة والخط الديوانى وهما صورتان للخط العربى ابتدعهما الأتراك كما ابتدعوا أيضا صورة جميلة لتوقيع سلاطينهم تعرف بالطغراء ، وقد كانت تتوج بها الأوامر السلطانية فى العصر العثمانى وتنقش على العملة ، وللطغراء قصة طريفة تفسر لنا نشأتها فقد اضطر السلطان مراد الأول الى أن يعقد معاهدة مع أحد أعدائه ، وكتبت المعاهدة وقرئت عليه ثم قدمت له لكى يوقع عليها ، ولما كان أميًا لا يعرف القراءة ولا الكتابة فقد دهن يده اليسرى بالجبر ثم طوى ابهامه ومد أصابعه الثلاثة التالية الى أعلى وترك خنصره منفرجا قليلا عنها ثم ضغط بيده على المعاهدة فاذا صورة قريبة من صورة الطغراء التى نعرفها قد ظهرت على الورقة ، وتناول كاتبه هذه الورقة وكتب فى داخل الصورة اسم السلطان واسم أبيه ثم لقب « خان » وعبارة « عز نصره » «٢» •



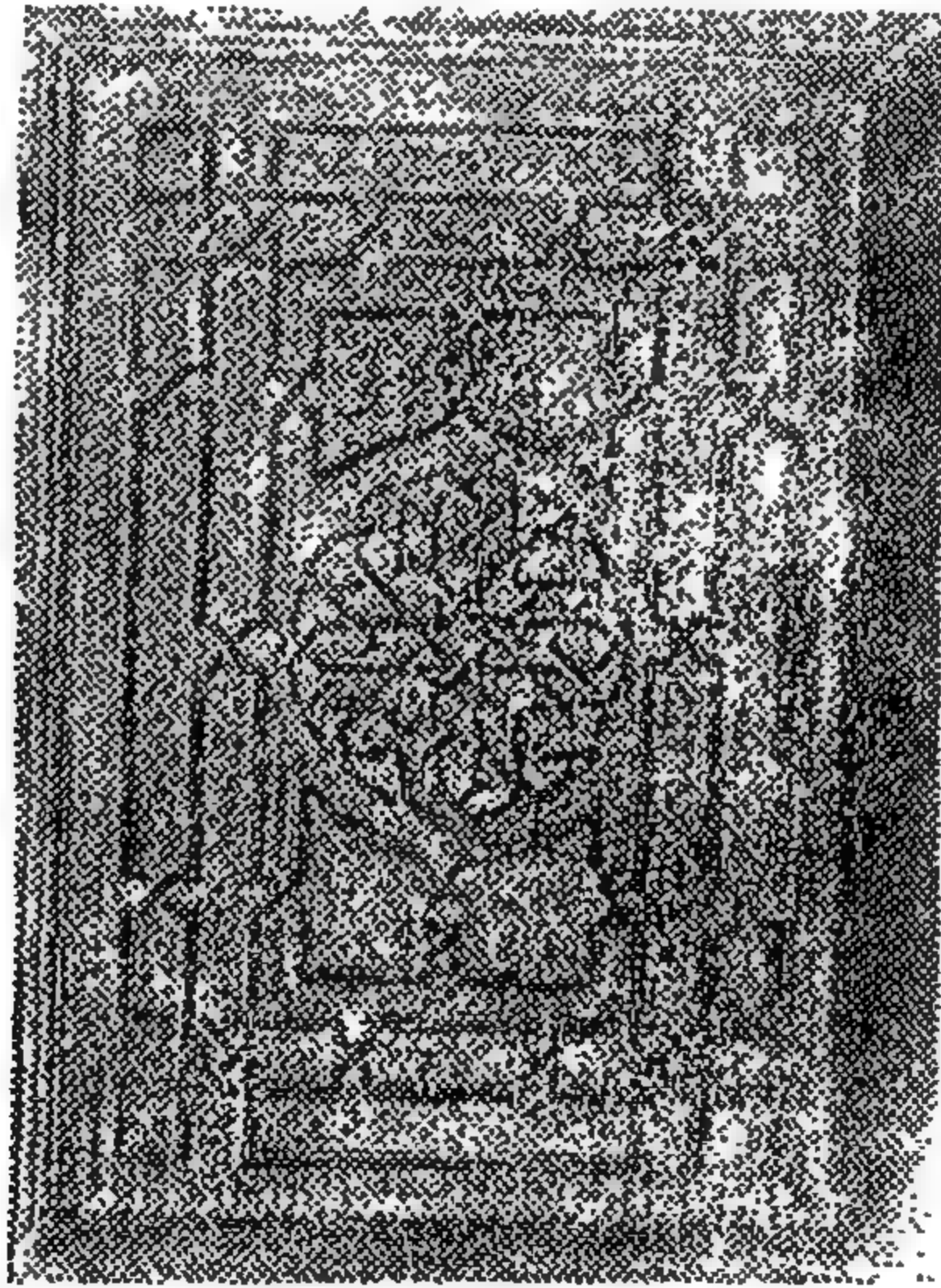
٢٧ - طغراء السلطان عبد العزيز بن محمود خان المظفر دائما - عن لين بول

(١) Pope, op. cit. vol. II p. 1707-1742

(٢) Lane-Poole, Turkey, p. 328-329.

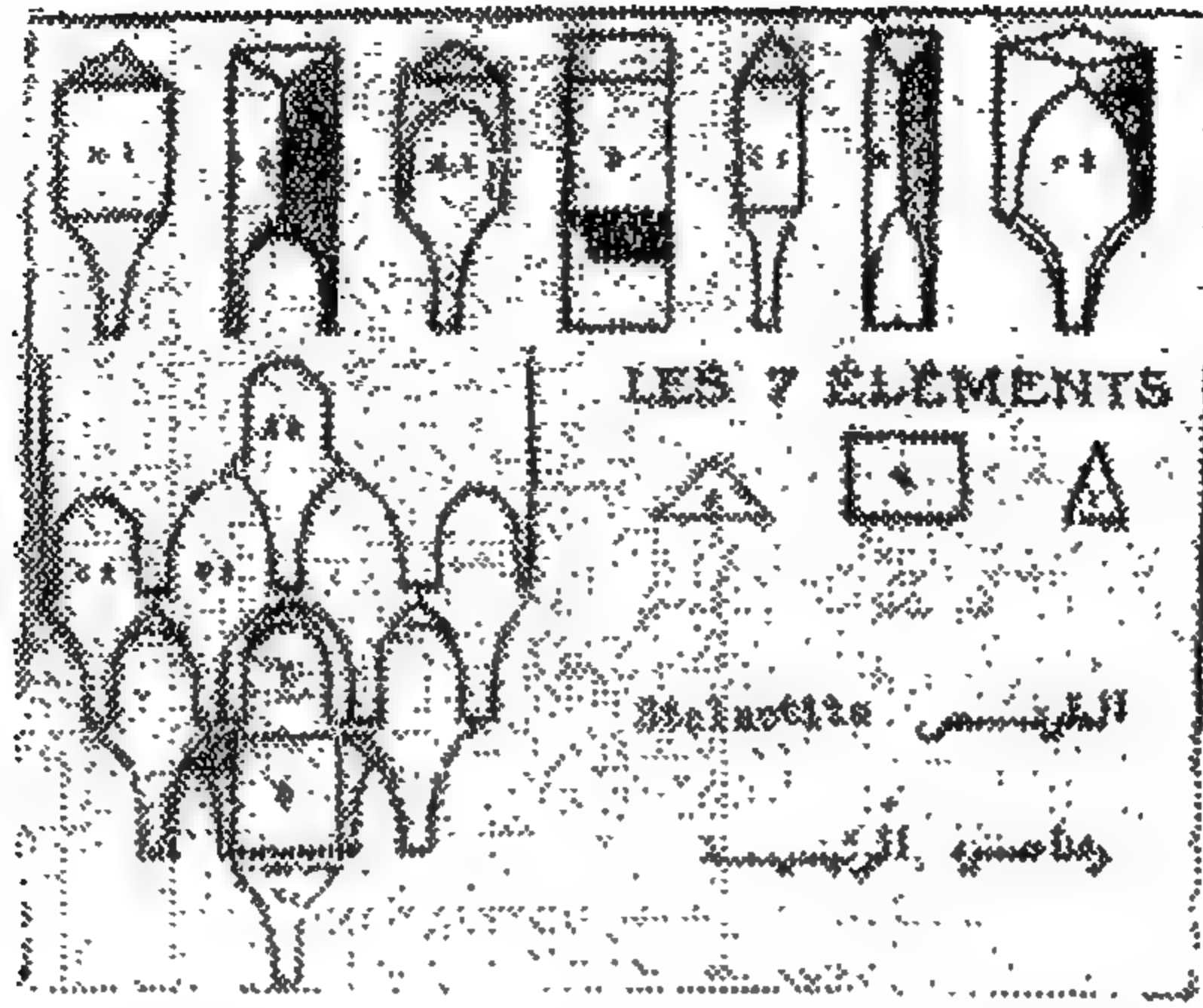
وقد حجب الاسلام الى الفنانين الزخارف النباتية والزخارف الهندسية، فقد روى في صحيح البخارى عن سعيد بن أبى الحسن حديثا عن النبى جاء فيه « كنت عند ابن عباس رضى الله عنهما اذ أتاه رجل فقال يا ابن عباس انى انسان انما أعيش من صنعة يدي وانى أصنع هذه التصاوير ، فقال ابن عباس لا أحدثك الا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، سمعته يقول من صور صورة فان الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبدا ، فربا الرجل ربوة واصفر وجهه فقال ويحك ان أبيت الا أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح «^(١)» وفى هذا الحديث توجيهان للفنان : الاول أن يعنى برسم الشجر أو بعبارة أدق برسم الزخارف النباتية، والثانى أن يقبل على رسم ما ليس فيه روح فاهتم بالزخارف الهندسية وعنى بها عناية كبيرة .

ومن أخص ما يتجلى فيه جمال الفن الاسلامى فى هذه الناحية تلك



٢٨ - زخرفة هندسية تتجلى فى جلد كتاب اندلسية - عن كونل

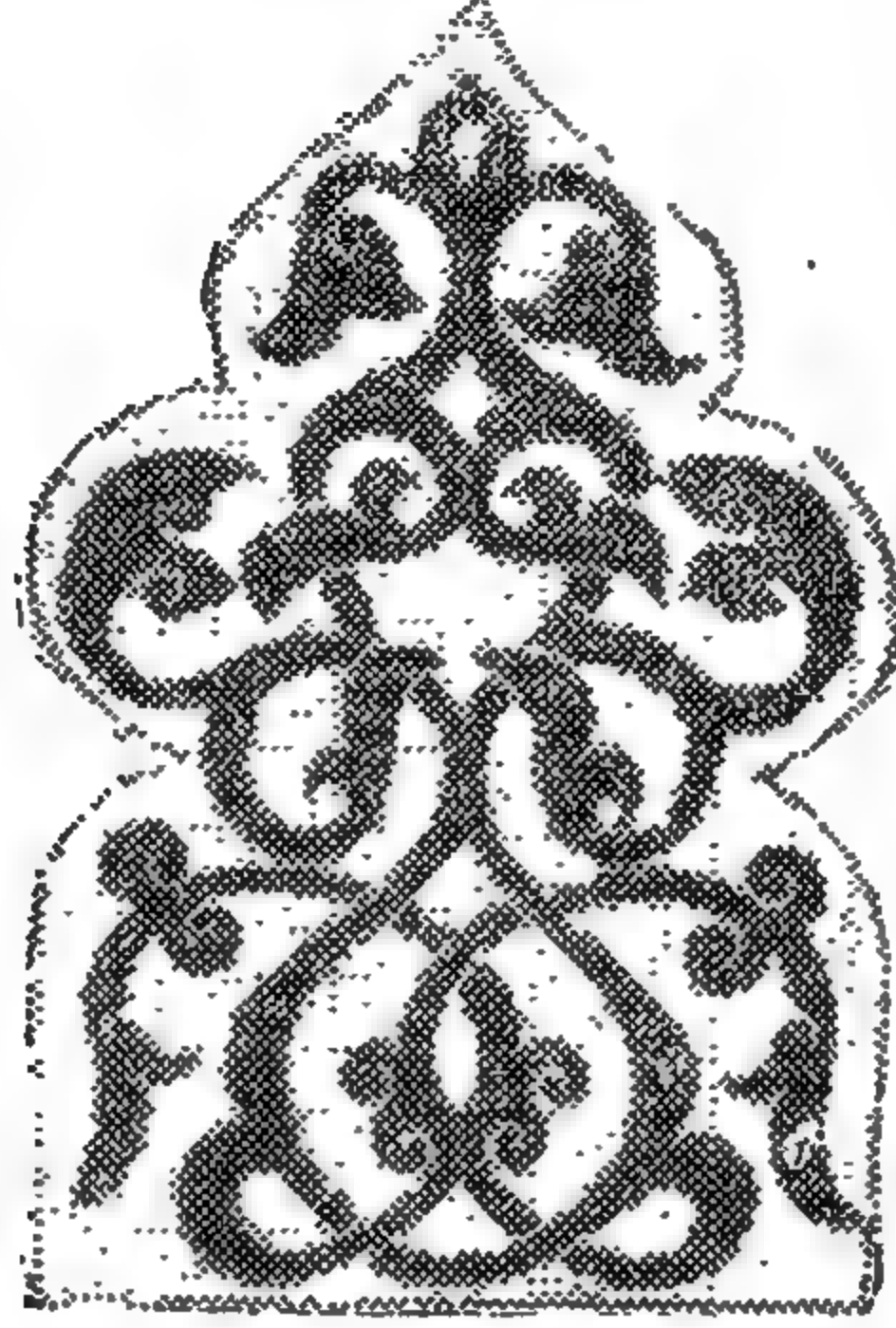
(١) البخارى - كتاب البيوع ب ١٠٤ ص ٨٢ ج ٣ .
Lamm, The Spirit of Moslem Art, p. 4 (Extrait from the Bulletin of the Faculty of Arts, University of Cairo, vol. III. part. I).



٢٩ - العناصر الرئيسية التي تتكون منها الزخرفة المعروفة بالقرنص

الزخرفة المعروفة باسم المقرنصات stalactites وهي تعد من أبرز خصائص هذا الفن . وكلمة مقرنص غريبة على اللغة العربية ولعلها عربت عن الكلمة اليونانية « كورنيس » ثم حرفت الى مقرنص . أما كلمة stalactite فتعني في الأصل الرواسب الكلسية المخروطية الشكل التي تتدلى من أسقف بعض الكهوف ، وهي في الواقع غير دقيقة في التعبير عن الصور المتعددة لهذا النوع من الزخرف اذ هي لاتصدق الا على صورة واحدة منه مع تعدد صورته . وتستمد هذه الزخرفة أصلها من الكوة niche التي تقام فوق الزوايا الاربع لغرفة مربعة يراد تسقيفها بالقبة والتي بواسطتها يستطيع البنياء أن يوجد سطحاً يمكن للقبة أن تستقر عليه ، وقد ورث المسلمون هذه الطريقة عن السوريين والفرس واستخدموها في عمائرهم ولكنهم لم يستطيعوا الصبر طويلاً على سداجتها ، بل ماكاد يتهدب ذوقهم وترتقى ملكتهم الفنية حتى أخذوا يعدلون في شكل هذه الكوة ، ويعقدون في مظهرها فقسموها الى كوى صغيرة متعددة تفننوا في وضعها وتنسيقها وتزيينها حتى بدت قطعاً من الفن الجميل كلما تأملت فيها غمرتك بلذة روحية وزادتك يقينا بعظمة الفن الاسلامي ، وقد شاء لهم خصبهم الفني أن لا يقفوا بها عند حد استعمالها تحت القباب بل اتخذوا منها وسيلة

لتزيين الأبنية في مواضع شتى «١» •
وقد ابتدع الفنان المسلم نوعا من الزخرفة النباتية عرف باسم «الارابسك»
Arabesque «٢» أو «التوريق» «٣» أو «الرقش» كما سماها أخيرا
الاستاذ بشر فارس «٤» •



٣٠ - التوريق «الارابسك» عن كونل

ولم يشجع الاسلام على النحت والتصوير ، والواقع أن الفن الاسلامي لم يصل في فن النحت أو بعبارة أدق في صناعة التماثيل الى الدرجة التي سست اليها كثير من الفنون القديمة السابقة عليه كالفن اليوناني مثلا .
وقد يتبادر الى الذهن أن في هذا القصور ما يعد مأخذا على الفن الاسلامي ودليلا على تأخر المبدعين له ، ولكن الواقع غير ذلك اذ ليس فيه ما يزرى
(١) راجع ٨٧ و ٨٨ من كتاب مساجد القاهرة للمؤلف ثم المراجع التي يشير اليها في ص ١١٥ من الكتاب المذكور .

(٢) راجع مادة «Arabesque» في دائرة المعارف الاسلامية - وراجع أيضا
Kuhnel, Die Arabeske, Wiesbaden, 1949.

(٣) أرشدني تلميذي حضرة السيد محمود عبد العزيز الطالب بالبعثة الى الكلمة الاسبانية «Ataurique» التي تعنى الزخرفة النباتية ، وأغلب الظن أنها مشتقة من الكلمة العربية التوريق ، وهي كلمة تؤدي معنى الارابسك وان لم تكن جامعة مانعة لان الارابسك قد تنطوى في بعض الاحيان على زخرفة هندسية أو كتابية أو حيوانية أو نباتية ، وهذه الاخيرة تكون عادة هي الغالبة .
(٤) بشر فارس : سر الزخرفة الاسلامية (مصر سنة ١٩٥٢) - من مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة .

بمكانة هذا الفن بين الفنون الأخرى لأن لكل فن بيئته التي نشأ فيها ،
والعوامل التي تحكمته في نشأته ، والمصادر التي استمد منها عناصره .
فاليونان القدماء نشأوا في بيئة يتوفر فيها الرخام فاتخذوا منه مادة لأعمالهم
الفنية ، وقد هداهم تفكيرهم الى أن يتخيلوا آلهتهم على هيئة الانسان
فنحتوا من الرخام تماثيل لهذه الالهة ، وأفرغوا جهدهم في نحتها فخرجت
من بين أيديهم رائعة جميلة متناسقة الأبعاد موزونة الأجزاء حتى لتعتبر
اليوم المثل الأعلى في فن النحت . أما العرب فلم يكن في بيئتهم الصحراوية
التي نشأوا فيها ما يشجع على نحت التماثيل ، ولم يكن في حياتهم الفكرية
ما يحفزهم على نحتها كما كان الحال عند اليونان، وقبيل ظهور الاسلام كان
يسود البلاد المحيطة بهم فنان هما الفن البيزنطي والفن الساساني ، ولم
يكن كلاهما يعنى بالتماثيل عناية الفراعنة أو اليونان أو الرومان بها ، وعندما
جاء الاسلام خرج العرب من جزيرتهم ينشرونه في ربوع الأرض ويتأثرون
بحضارة البيزنطيين وحضارة الفرس كما ذكرنا من قبل ، ويشاهدون الآثار
الفنية لهاتين الأمتين فلم يعنوا بعمل التماثيل أسوة بهما خصوصا وقد أعلن
الاسلام الحرب على الوثنية ، واعتبر القرآن الكريم الأنصاب رجسا من
عمل الشيطان على المؤمنين أن يجتنبوه «١»، وقد فصلت الأحاديث النبوية
القول في هذا الأمر فبينت اثم من يصنع هذه التماثيل «٢» ، وقد أدرك
أسلافنا أن التحريم منصب على التماثيل التي تعبد من دون الله وحدها، أما تلك
التي تتخذ لغير هذا الغرض فلم يتخرجوا من استعمالها فزينوا بها قصورهم
وصنعوها على هيئة الانسان تارة وعلى هيئة الحيوان أخرى ، ونذكر على
سبيل المثال ما كشفت عنه دائرة الآثار الفلسطينية في قصر هشام بخربة
المفجر حيث عثر على تماثيل من الجص لآدميين وحيوانات بعضها كامل

(١) سورة المائدة - آية ٩٣ - والأنصاب - كما فسرها النسفي - هي
الأصنام أى التماثيل التي تعبد من دون الله .

(٢) راجع مفتاح كنوز السنة تأليف فنسك وترجمة محمد فؤاد عبد الباقي
للوقوف على جميع الأحاديث التي وردت بشأن التصوير ، مع العلم بأن التمثال
ليس الا صورة مجسمة - ص ٨٣ (مصر ١٩٣٤) .

وبعضها فقد معظم جسمه «١» . وفي متاحف كثيرة في أوروبا تماثيل اسلامية
شتى من الجص ومن الحجر ومن المعدن «٢» وجميعها لايتوفر فيها الاتقان
الفنى الذى تشاهده في تماثيل الفراعنة أو اليونان أو الرومان .



٣١ - تمثال من البرنز يمثل حيوانا خرافيا - عن جلك ودينز

والتصوير كالتحت لم يصل عند المسلمين الى المستوى الرفيع الذى
اصطلح عليه الباحثون فى الفنون ، واذا كان القرآن قد خلا من نص صريح
أو غير صريح بصدد هذا الفن فإن الأحاديث النبوية قد تناولته من زوايا
متعددة ، ويكفى أن تقول أن بعضها يترخص فى التصوير على الفرش وما
أشبهها ، وبعضها يبيح تصوير ما ليس فيه روح ، والكثير منها يلعن المصور
ويلعن بيع الصور ، وقد فسر الفقهاء هذه الأحاديث تفسيراً ألقى ظلاً من
الشك حول مزاولة هذا الفن أو العناية به ، ولكن على الرغم من ذلك فقد
غزا الفنانون المسلمون بالتصوير جميع فروع الفن الاسلامى من أبنية

(١) Baramki, op. cit. figs. 2, 10, 11, 12, 13 & 14.

(٢) فى القسم الاسلامى بمتحف برلين ، وفى متحف المتروبوليتان بـنيويورك
تماثيل آدمية من الجص ، وفى متحف اسطنبول وفى متحف قرطبة وفى قصر
الحمراء تماثيل حيوانية من الحجر ومن المعدن .

وأخشاب وعاج ومعادن وزجاج وخزف ومنسوجات ومخطوطات ، وقد تجلت عبقريتهم فى الصور الصغيرة Miniatures التى تزين المخطوطات اذ شغف المصورون المسلمون بتوضيح كتب العلم والدين والأدب والتاريخ بصور تفسر بعض ما تتضمنه من بحوث ونصوص «^١» ومن الحق علينا أن نبرىء الدين الاسلامى من تهمة تحريم التصوير التى ألصقتها به بعض المتزمتين من فقهاء المسلمين «^٢»، فالأمر الذى لا مجال للشك فيه هو أن القرآن ترك لنا أمر التصوير ليرجع فيه الى حكم العقل وسنن التطور والرقى ،



٢٢ - صورة تمثل صعود النبى الى السماء ليلة الاسراء
من مخطوط فارسي بالمتحف البريطانى - عن كونل

(١) راجع عن فن التصوير : كتاب التصوير عند الفرس للدكتور زكى محمد حسن (مصر ١٩٣٩) ، والتصوير عند العرب لاحمد تيمور (نشر وتعليق الدكتور زكى محمد حسن - مصر ١٩٤٢) والصور الاسلامية للمؤلف (نشر فى مجلة الهلال - عدد ابريل ١٩٤٣) والرسوم الجدارية الاسلامية فى البرطل بالحمراء للدكتور جمال محرز (مدريد ١٩٥١) .

(٢) راجع بحثا للاستاذ احمد محمد عيسى عن « الاسلام والتصوير » نشر فى مجلة الازهر فى أعداد رجب وشعبان وشوال من سنة ١٣٧٠ هـ وعددى صفر وجمادى الاولى من سنة ١٣٧١ هـ .

وفى الحق أن الدين الذى لم يتعرض لنظام الخلافة مثلاً — وهو أشد خطراً فى حياة المسلمين من التصوير بل ترك ذلك لهم يسرون فيه على النهج الذى يتلاءم وظروفهم ، ويستعينون فيه بتجارب من سبقهم من الأمم — لأسمى من أن يتعرض بالتحريم لأمر يتصل بسمو الحياة البشرية وتطورها، ومن ذا الذى يستطيع أن ينكر على التصوير دوره الخطير فى الحياة العلمية والشئون الاجتماعية للأفراد والجماعات ؟ *

تسرب الفن الإسلامى الى أوربا

وأثره فى فنونها .

هذا الفن الذى رأينا مولده ونشأته ، وعرفنا العوامل المختلفة التى ساعدت على نضوجه واستكمال شخصيته ، ووقفنا على سر تخلفه فى مجالى النحت والتصوير ، قد أخذ يتسرب الى الأوربيين ويحملهم على الالتفات إليه . وقد جاء ذلك عن طريقين رئيسيين : طريق السلم وطريق الحرب . فمن طريق السلم عرفه الأوربيون أولاً عند حجهم لبيت المقدس ، ولا يغيب عن الذهن أن عدد هؤلاء الحجاج لم يكن فى العصور الوسطى قليلاً ، فقد كانت سيطرة الدين حينئذ على النفوس قوية عظيمة ، وكان الناس أكثر اشتغالا بأمور دينهم عما هم عليه الآن . وثانياً عندما تبادل التجار منهم سلعهم مع سلع التجار المسلمين الذين وفدوا الى بلادهم وهم يحملون أجمل ما أخرجته مصانع الشرق من شتى المصنوعات ، وأفخم ما أبدعته أنوالهم من الطنافس والمنسوجات « ١ » . وثالثاً عن طريق الهدايا التى كان يبعث بها سلاطين المسلمين وأمراؤهم فى المناسبات المختلفة الى ملوك أوربا وأمرائها وعن طريق الحرب ازدادت معرفة الأوربيين بالفن الإسلامى ، أولاً عندما غزت جيوش المسلمين بعض أنحاء أوربا : ففى الأندلس ، وفى جنوب فرنسا ، وفى صقلية ، وفى جنوب إيطاليا ، وفى بولندة ، وفى اليونان عاش المسلمون ردها من الزمن اختلفت مدته باختلاف الظروف التى أحاطت بهم ، وشيّدوا لأنفسهم فى بعض تلك البلاد العمائر المختلفة من مساجد

(١) Legacy of Islam, p. 100.

وقلاع وأسوار وقصور ، كما أنشأوا بعض الصناعات • وقد ضاع الكثير من معالم حضارتهم ولم يبق الا القليل ، وقد تأثرت الفنون المحلية في هذه البلاد بالفن الاسلامى ، ومنذ بدأت العناية بدراسة الآثار الاسلامية اتجه فريق من العلماء الى دراسة تلك العناصر الفنية التى تسربت من الفن الاسلامى الى فنون أوروبا وجلوها على الناس فى صورة واضحة «١» • كذلك لعبت الحروب الصليبية دورا هاما فى هذا الصدد فقد غزت جيوش أوروبا بلاد الشرق ، ورأت تلك الجيوش الكثيرة معالم الحضارة الاسلامية والآثار العظيمة للفن الاسلامى عن كثب ، وآمنوا عن يقين أن المسلمين قد وصلوا الى ذروة التقدم ، وأنهم ليسوا بمرابرة متأخرين كما كانوا يظنون من قبل • فعن طريق هذا الاتصال وعن طريق الامارات الأوربية التى أسسها الصليبيون فى بعض بلاد الشام والتى استمرت فترة من الزمن اتسعت دائرة معرفة الأوربيين بالفن الاسلامى اتساعا عظيما •

ونستطيع أن نذكر الآن فى ايجاز بعض ما نشاهده فى فنون أوروبا من تأثيرات الفن الاسلامى الذى أصبح له فى الواقع مكانة ممتازة بين فنونها • وفى العمارة قد أثر المسلمون بعقودهم وشرفات عمائرهم وماذن مساجدهم فيما بناه الأوربيون من عمائر • أما الخط العربى فقد أعجب به الأوربيون فقلدوه ونقلوا بعض العبارات العربية نقلا صادقا دون أن يعرفوا ما تحمله وراءها من المعانى ، ولم يمنعهم جهلهم هذا من أن يتخذوا من هذه العبارات أداة لتزيين مصنوعاتهم ، ولقد أشار كريستى «٢» الى مثال طريف فى هذا الصدد هو

(١) كتب برتو فى سنة ١٨٩٥ عن الفن الاسلامى فى جنوب ايطاليا

Bertaux , Les Arts de l'Orient Musulman dans l'Italie Meridionale.

وكتب الدكتور أحمد فكرى فى سنة ١٩٣٤ بالفرنسية عن التأثير الاسلامى

فى الفن الرومانى فى جنوب فرنسا

Fikry, l'art Roman de Puy et les influences Islamiques.

ونشر ماتكوسكى بحثا عن أثر الفن الاسلامى فى بولنده فى مجلة جامعة

Mankowsky, Influences of Islamic Art in Poland,

متشيجان

Ars Islamica, Vol. II, p. 93-117.

Christie Islamic Minor Arts and their influence upon

(٢)

European Work, (Legacy of Islam, p. 13).

=

ذلك الدينار الموجود في المتحف البريطاني الذي يحمل على أحد وجهيه كتابة كوفية نصها « لا اله الا الله وحده لا شريك له » وعلى الوجه الآخر عبارة لاتينية نصها « Offa Rex »^(١) وعلى حافته « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وهي الآية الكريمة التي كانت تنقش على العملة الاسلامية كما ذكرنا من قبل «^(٢)» . وأغلب الظن أن الصانع الأوربي الذي ضرب هذا الدينار والملك الذي أمر بضربه يجهلان مدلول هذه العبارات العربية ولو أنهما عرفا ذلك مارضيا بنقشها لتنافرها مع عقيدتهما الدينية ، ولكنه الفن الاسلامي كما يتجلى في الكتابة الكوفية على الدنانير الاسلامية التي كانت معروفة عندئذ في أوربا «^(٣)» كان الدافع الى ذلك . وإذا كان من الفنانين الأوربيين من أحسن نقل العبارات الأوربية فإن كثيرين منهم قد قلدوا الحروف العربية تقليدا يشعر لأول وهلة بأنها كتابة عربية فاذا دقت النظر فيها لم تجدها كذلك ، كما أن بعض الفنانين قد حاول أن يكتب الحروف العربية بصورة تقرب في = وراجع أيضا الترجمة العربية لبعض فصول هذا الكتاب بقلم الدكتور زكي محمد حسن (تراث الاسلام ج ٢ ص ١٧) .

ويلاحظ أن عبارة Minor Arts الواردة في عنوان هذا البحث أصبحت اليوم في الواقع غير مقبولة لان الفنون الجميلة عند المسلمين ونعني بها هنا فنون العمارة والحفر والنقش والنحت والتصوير - ليس فيها ما هو فرعي minor وما هو أصلي major بل كلها في الاهمية لدى الفنان سواء وذلك على عكس الحال عند الغربيين - وهم الذين وضعوا أسس دراسة هذا التراث الفني كما رأينا في هذا البحث - الذين يفرقون عادة بين مظاهر الفنون الجميلة ، فنون النحت والتصوير هي عادة من انتاج فنانين artists لهم في الهيئة الاجتماعية مكانة ملحوظة أما ماعداهما من فنون زخرفة الامتعة المنقولة فهو من عمل صناع artisans وهي لذلك في المحل الثاني من الاهمية ولا تعتبر في نظر الاوربيين تحفا نفيسة بمعنى الكلمة ولكن المسلمين قد جمعوا بين الفن والصناعة في كل ما أخرجته أيديهم يستوى عندهم في ذلك آنية الامير المتخذة من النحاس المطعم بالذهب والفضة وآنية الفقير المصنوعة من الفخار « ولعل اصدق عبارة تستبدل بها كلمة minor arts هي decorative arts أي الفنون الزخرفية »

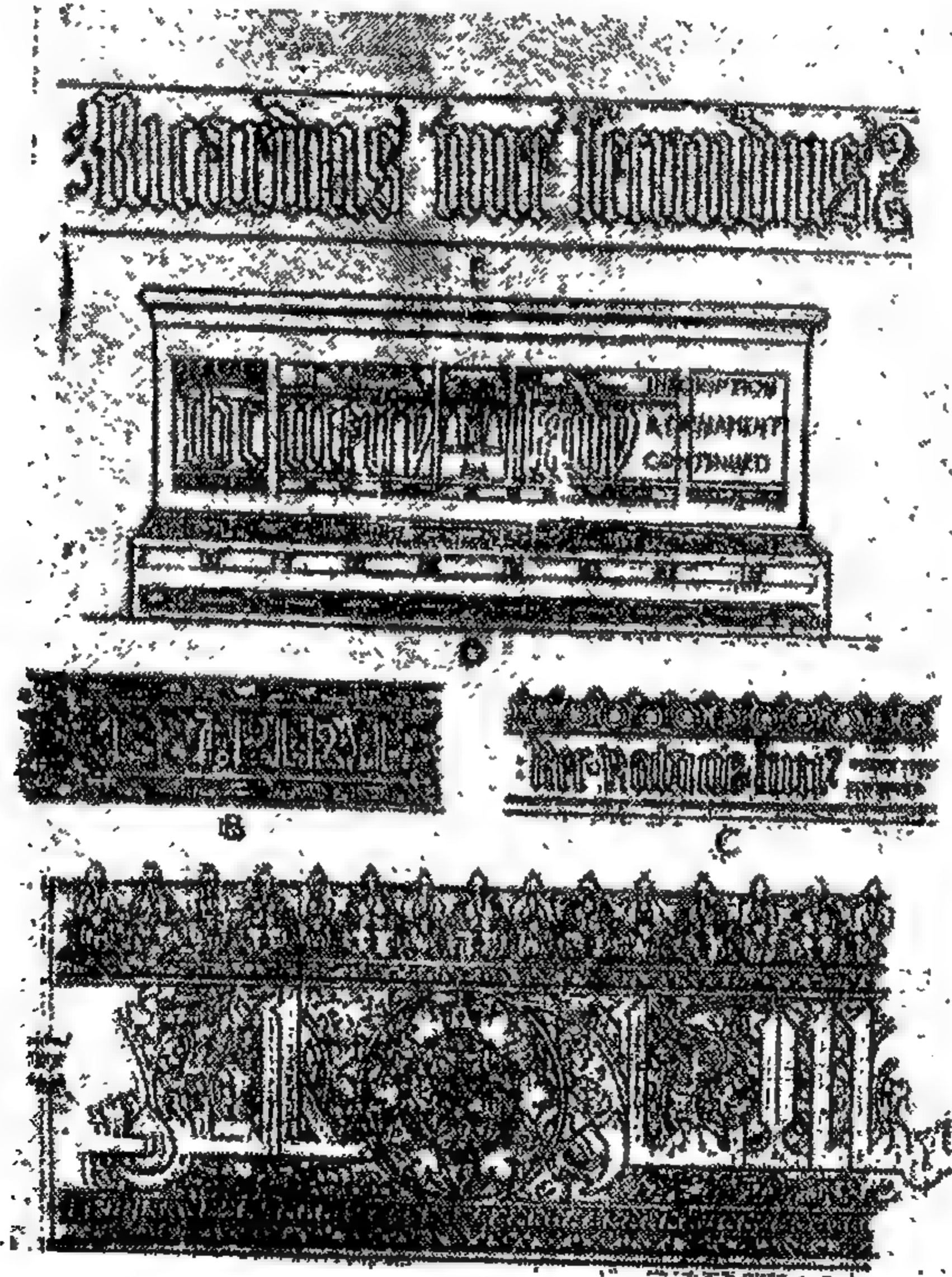
(١) كان الملك أوفيا يحكم مملكة مرسيا Mercie إحدى الممالك الصغيرة التي كانت تنقسم اليها الجزائر البريطانية في العهد الانجلوسكسوني .

(٢) أنظر ص ١٦ من هذا الكتاب .

(٣) Legacy of Islam, p. 100

شكلها العام من صورة الحروف الكوفية ونجحت هذه المحاولة وتجلت
أروع ما تكون في الكتابة القوطية « Gothic » التي شاع استعمالها في أوروبا
في العصور الوسطى •

وقد درس الفنانون الأوروبيون في عصر النهضة الزخرفة الإسلامية
وانتشرت بين الصناع والفنانين في أوروبا كتب بها نماذج من الزخارف
الإسلامية لكي يستعينوا بها على تزيين مصنوعاتهم ، ووصلت إلينا بالفعل
كراسة للمصور الإيطالي ليوناردو دافيتشي بها تخطيط لزخرفة إسلامية •
ولقد تعلم الأسبان من المسلمين في الأندلس صناعة الخزف ذي البريق
المعدني الذي أشرنا إليه من قبل « ١ » ، وقد انتشر في أوروبا بواسطة الأسبان



٣٣ - الخط القوطي المتأثر بالخط الكوفي - عن تراث الإسلام

(١) أنظر ص ٦٣ و ٦٤ من هذا الكتاب .

وأقبل صناع الغرب على تقليده حتى لقد زينوا أوانيهم بما يشبه الكتابة الكوفية امعانا في صبغها بالصبغة الاسلامية .

واتخذ الأوربيون أيضا من الأواني النحاسية المطعمة بالفضة أو الذهب أو بهما معا - التي حذق المسلمون صنعها - نماذج قلدوها واستعانوا في ذلك بصناع من المسلمين استقدموا من الشرق ليعلموا الأوربيين في مدينة البندقية هذه الصناعة .

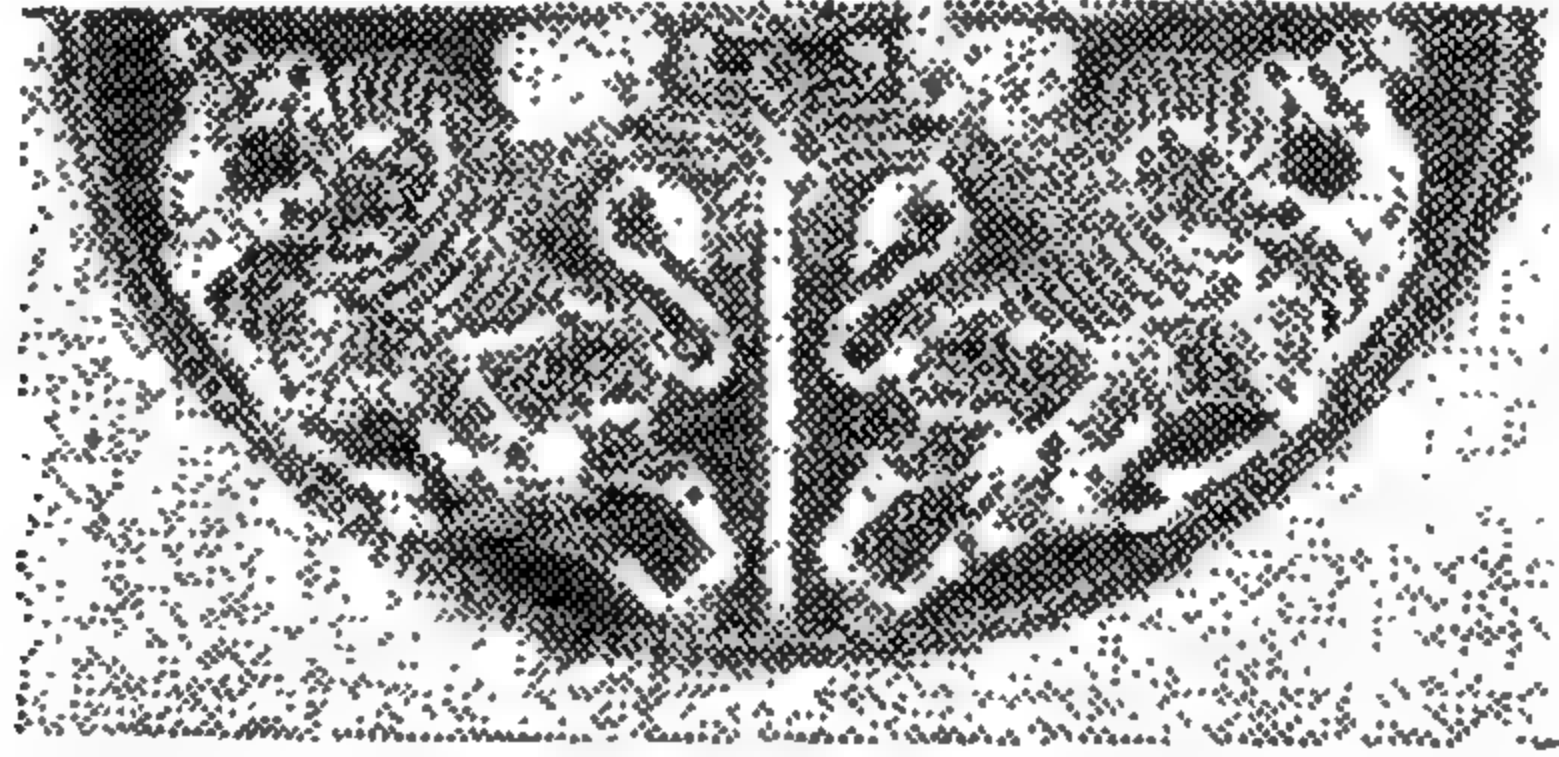
وكانت صناعة الأقمشة مزدهرة على يد المسلمين في العصور الوسطى ازدهارا منعدم النظير ، وقد كان في تقاليدهم مثل كسوة الكعبة وعادة منح الخلع ، وفي ميولهم المختلفة مثل الرغبة في الكثير من الثياب وتفضيلهم للمنسوجات عند الاهداء ، والتصدق بها على الفقراء في المواسم والأعياد - كان في هذه التقاليد وتلك الميول مجال واسع لتقدم صناعة الأقمشة ، الأمر الذي تجلّى في ظهور أنواع جديدة لم تكن معروفة من قبل « ١ » . وقد وجدت المنسوجات الاسلامية طريقها الى أسواق أوروبا ، وأثارت في نفوس القوم هناك دهشة عظيمة عندما تأملوها وقارنوا بينها وبين ما كانت تخرجه مناسجهم ، وأقبلوا على شرائها اقبالا شديدا ، وسموها في لغاتهم بأسماء البلاد التي نسجت فيها ثم أطلقوا هذه الأسماء العربية الأصل على ما أخرجته أيديهم من منسوجات قلدوا بها المنسوجات الاسلامية ، ولا تزال كلمة « الموسلين » « ٢ » مثلا المأخوذة من اسم المدينة العراقية « الموصل » تتردد على ألسنة الأوربيين وترد في ثنايا كتبهم . ولقد تقدمت صناعة المنسوجات في صقلية على عهد المسلمين تقدما عظيما وظل هذا التقدم مستمرا في العصر النورماندى الذى وصل اليانا منه مثال رائع هو عباءة التتويج التى كان يتوارثها أباطرة الدولة الرومانية المقدسة والموجودة الآن في متحف الكنوز

(١) الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية للمؤلف من ص ١٥ - ٢٠ ومن ٦٢ - ٧٠ (مطبوعات دار الآثار العربية ١٩٤٢) .

(٢) هناك أسماء أخرى يمكن الرجوع اليها في

Legacy of Islam, p. 104 f.f.

بمدينة فيينا ، وهى تزدان فوق زخارفها الجميلة بنص عربى منسوج على حافتها بالخط الكوفى بخيوط من ذهب ، وقد يكون فى اثباته هنا فائدة لمن يعنون بالأدب العربى فى صقلية فى القرن السادس الهجرى . « مما عمل بالخزانة الملكية المعمورة بالسعد والاجلال والكمال ، والطول والافضال والقبول والاقبال ، والسماحة والجلال ، والفخر والجمال ، وبلوغ الأمانى والآمال ، وطيب الأيام والليال بلا زوال ولا انتقال ، بالرز والدعاية ، والحفظ والحماية ، والسعد والسلامة والنصر والكفاية بمدينة صقلية سنة ثمان وعشرين وخمسمائة » (١) ومن صقلية سرت تلك النهضة الصناعية فى المنسوجات الى المدن الايطالية مثل لوكا وفلورنسه والبندقية فأخرجت مناسجها أقمشة قريبة الشبه مما أنتجه المسلمون حتى لقد يصعب فى بعض الأحيان التفريق بين الأصل والمقلد .



٣٤ - عباءة التتويج - صقلية - عن ميجون

وتعد الطنافس الشرقية التى ساهم فى صناعتها الفنانون والصناع المسلمون معا تحفا فنية بكل ما يحتمله هذا التعبير من معنى : فيها الفكرة الكامنة ، وفيها التوازن والانسجام ، وفيها التنوع بين الألوان ، وفيها اليد الصناع الماهرة ، فيها كل ما يمتع الحواس ويغذيها : مرآها يسحر العين ، وملمسها ترتاح اليه النفس ، وتصميمها وزخرفها يثيران التفكير ويبعثان على التأمل . ولقد أدرك الأوربيون ما فى هذه الطنافس الاسلامية من جمال وفن ، وقدروا هذا الجمال الفنى حق قدره ، فأقبل الأغنياء منهم على اقتنائها

(١) Wiet et autres, Répertoire Chronologique d'Épigraphie Arabe, Tome VIII, p. 124.

ليزينوا بها قصورهم وكنائسهم ، وقد انعكس هذا التقدير بأجلى صورة
فى لوحات فنانيهم فاذا هؤلاء الفنانون يرسمونها فى صورهم فبدت الطنافس
الاسلامية مصورة فوق العروش أو مفروشة على الأرض ، أو منشورة
من النوافذ والشرفات ، أو مبسوطة فوق الموائد ، واذا صناعتهم يقلدون
هذه الطنافس ويحاولون اتقان هذا التقليد «١» .

oooooooooooo

متاحف الفن الاسلامى فى اوربا

كان من الطبيعى أن يجعل الأوروبيون الذين توفروا على دراسة الفن الاسلامى
وتخصصوا فيه وأدركوا الدور الذى لعبه فى فنون أوربا — له بين
الفنون الأخرى التى ساهمت فى انشاء حضارتهم مكانا ملحوظا فعملوا على
أن يفسحوا لتحفه المختلفة موقعا بارزا فى متاحفهم ، وقد نجحوا فى هذا
السبيل ، وقلما نجد اليوم دولة غربية ليس بين متاحفها متحفا أو جزءا من
متحف به أمثلة رائعة من بدائع الفن الاسلامى ، ولعله من المفيد هنا أن
نذكر هذه المتاحف فى شىء من الإيجاز لتكون معروفة لمن يجب أن يواصل
دراسة هذا الفن .

(١) راجع أبحاثا للمؤلف عن طنافس القوقاز (فى مجلة الهلال عدد فبراير
سنة ١٩٤٢) ، وطنافس القاهرة فى العصور الوسطى (فى مجلة الهلال عدد
فبراير سنة ١٩٤٣) ، وطنافس تركيا (فى مجلة الهلال عدد ديسمبر سنة
١٩٤٣) ، وطنافس الهند (فى مجلة الهلال عدد اكتوبر سنة ١٩٤٤)

ففى بلاد اليونان نجد متحف بناكى «١» فى مدينة أثينا وهو يأتى فى المحل الثانى من الأهمية بعد متحف الفن الاسلامى فى القاهرة الذى يعد أكبر المتاحف فى العالم لهذا الفن لما تنطوى عليه جوانحه من مجموعات كبيرة متنوعة من شتى البلاد الاسلامية ومن شتى العصور «٢» .

وفى بلاد المجر نجد أهم المتحف الاسلامية فى المتحف الاهلى بمدينة بودابست حيث نشاهد بعض الأمثلة الجميلة للطنافس والخزف التركى وللخزف الايرانى كذلك «٣» .

وفى ايطاليا توجد أهم المتحف الاسلامية معروضة فى مدينة فلورنسه فى المتحف الأهلى «٤» ، وفى متحف بارجللو «٥» ومن أجل ما نراه فيهما المتحف المصنوعة من العاج أو الزجاج .

وفى فرنسا توجد كثير من المتحف الاسلامية فى مدينتى ليون وسيفر ، وفى الأولى نرى فى متحف الغرفة التجارية «٦» مجموعة قيمة من المنسوجات الاسلامية ، وفى الثانية نشاهد مجموعة رائعة من الخزف الاسلامى «٧» أما فى باريس نفسها فهناك خمسة متاحف عظيمة بها مجموعات قيمة من شتى المتحف الاسلامية هى متحف جوبلان ومتحف كلونى ومتحف اللوفر، ومتحف الفنون الزخرفية ، والمتحف الحربى «٨» . كما أنه يوجد فى المكتبة

Benachi Museum

(١)

(٢) لم أذكر فى هذا التثبت المتاحف الموجودة فى البلاد الاسلامية مثل الباكستان وايران والعراق وتركيا والشام ومصر وتونس والجزائر ومراكش لان وجود المتحف الاسلامية فى هذه البلاد امر طبيعى . وانما اقتصر على ذكر متاحف اوربا التى أتاحت لى فرصة زيارتها ودراسة مجموعاتها ، اما غيرها من المتاحف الاوربية او متاحف الهند و متاحف أمريكا الشمالية فقد آثرت عدم الإشارة إليها .

The Hungarian National Museum.

(٣)

Museo Nazionale, Florence.

(٤)

Museo Bargello

(٥)

Musée de la Chambre de Commerce de Lyon.

(٦)

Musée de Sevres.

(٧)

Musée des Gobelins, Musée de Cluny, Musée de Louvre, Musée des Arts décoratifs.

(٨)



٣٥ - قطعة شطرنج من العاج - بالمكتبة الاهلية بباريس - عن ميجون

الاهلية «١» أنفس مجموعة من المخطوطات المصورة الاسلامية لاسيا
الفارسية ♦

وفي اسبانيا نجد في مدريد وحدها ثلاثة متاحف في كل منها مجموعة
من الخزف والأسلحة والأحجار والأقمشة الاسلامية هي : متحف الآثار ،
والمتحف الحربى ومتحف دون جوان أوفالنسيا دى أسما كما كان يسمى
من قبل «٢» ♦ ونجد كذلك في المتاحف المحلية لبعض مدنها الأخرى مثل
برشلونة وقيش وسرقسطة وطليطلة وغرناطة وقرطبة وأشبيلية والمرية قطعا
هامة من الفن الاسلامى «٣» ♦

وفي النمسا نجد في ثلاثة من متاحف فيينا مجموعات اسلامية عظيمة
نخص بالذكر منها مجموعة الطنافس الاسلامية التى لانظير لها في العالم

(١) Bibliothèque Nationale.

(٢) Museo Arqueologico, Museo des Ejercito, y Museo Valencia de

Osma, o Museo Don Juan.

(٣) Barcelona, Vich, Saragossa, Toledo, Grenade, Cordova, Seville y

Almarya.

والتي نشاهدها في المتحف النمساوي للفن والصناعات «١» ، ومجموعة الزجاج والبللور الصخري والأسلحة في متحف تاريخ الفن ، ومتحف التاريخ الطبيعي «٢» • وفي المكتبة الأهلية بمدينة فيينا مجموعة قيمة من أوراق البردي الإسلامية وبعض المخطوطات الإسلامية المصورة «٣» •

وفي ألمانيا يستطيع الانسان أن يجمع بين مشاهدة أمثلة رائعة للعمارة الإسلامية وأمثلة جميلة للفنون الزخرفية على السواء • ففي القسم الإسلامي بمتاحف الدولة ببرلين «٤» واجهة قصر المشتى التي أشرنا إليها من قبل والتي تشهد للفن الإسلامي بالنشوء والارتقاء ، إذ تتجلى في الجانب الأيسر من هذه الواجهة تقاليد الفنون البيزنطية والساسانية اللذين اعتمد عليهما الفن الإسلامي في نشأته ، بينما تشهد في الجانب الأيمن منها فنا جديدا قوام زخارفه الفروع النباتية المنسقة في رسمها تنسيقا يتعد بها عن الطبيعة بعض الشيء مما يشعر بأننا هنا أمام فن جديد بدأ يشق طريقه ويخرج الى حيز الوجود • وفي القسم الإسلامي من متاحف برلين نشاهد كذلك قطعاً كثيرة من الجص المزخرف الذي كشفت عنه الحفائر الأثرية التي قام بها الألمان في مدينة « سامراء » • وفن الزخرفة الإسلامية الذي رأيناه ولیداً في الجانب الأيمن من المشتى قد شب الآن عن الطوق وأفصح عن شخصيته في هذه الزخارف الجصية التي كانت تزين قصور سامراء • وهكذا يعد القسم الإسلامي بمتاحف برلين من أهم المتاحف التي تساعد على دراسة الفن الإسلامي ، على أن أهميته لا تقف عند حد الأثرين المعماريين سالف الذكر بل ان به الى جانبهما مجموعة قيمة من الطنافس والخزف والأقمشة والأسلحة وغيرها ترجع الى العصور والممالك الإسلامية المختلفة • وفي برلين متاحف أخرى بها الكثير من التحف الإسلامية القيمة من أقمشة

-
- | | |
|---|-----|
| Osterreichisches Museum für Kunst und Industrie. | (١) |
| Kunsthistorisches Museum, und Naturhistorisches Museum. | (٢) |
| Nationalbibliothek, Wien, | (٣) |
| Islamische Kunstabteilung der Staatlichen Museum. | (٤) |

وأسلحة وبللور صخرى وصور مرسومة على الجص أهمها متحف القصر والمتحف الحربى ومتحف علم الشعوب «١» • وفى متحف الفن والصناعات «٢» فى كل من مدينتى هانوفر ودسلدورف ، وفى متاحف مدينة ميونخ نشاهد مجموعة متنوعة من التحف الاسلامية الجميلة •

وفى بلجيكا نرى فى مدينة بروكسل فى المتحف الخمسينى ، ومتحف بورت دى هال بعض التحف الاسلامية «٤» •

وفى الجزائر البريطانية عدة متاحف تنطوى جوانحها على الكثير من التحف الاسلامية الهامة نخص بالذكر منها المتحف البريطانى ومتحف فيكتوريا والبرت فى لندن «٥» ثم متحف فتزوليم فى كمبردج «٦» ، ومتحف اشمولى فى مدينة اكسفورد «٧» •

وليست المتاحف الأوربية وحدها هى التى تشاهد فيها التحف الاسلامية بل ان كثيرا من الكنائس الكبيرة فى أوروبا فيها — ضمن كنوزها — تحف اسلامية رائعة ، فلقد افتنن المسيحيون بجمال هذه التحف فحافظوا عليها ووضعوها فى أعز مكان لديهم مع ما يعتزون به من مخلفات أخرى • وكأنما شاعت الأقدار أن يبقى لنا هذا التراث الفنى محتفظا بروعته لكى نرى فيه شاهدا صادقا على سمو الفن الاسلامى • ومن أشهر هذه الكنائس فى ايطاليا كنيسة سان مارك فى البندقية ، وفى فرنسا كنيسة سنت آن بمدينة آبت ، وفى اسبانيا كنيسة بنبلونه وكنيسة جيرونا •

Schloss Museum, Zeughaus und Museum für Volkerkunde. (١)

Museum für Kunst und Gewerbe (٢)

(٣) مثل المتحف الحربى ، والمكتبة الاهلية ، ومتحف الشعوب .

Musée du Cinquantaire, Musée Porte de Hal, Brussel. (٤)

British Museum, Victoria and Albert Museum. (٥)

Fitzwilliam Museum. (٦)

Ashmolean Museum. (٧)

خاتمة

وبعد فقد خطر لى وأنا أهم بوضع القلم أنه قد يكون من بين القراء من استهوته هذه الدراسة فأحب أن يستزيد منها ويطلع على تفاصيلها ، وقد يضيق وقته عن البحث عن أمهات الكتب التى تستطيع أن تعرضها عليه مفصلة موضحة ، لذلك رأيت من الحق على وقد أيقظت فيه هذه الرغبة أن أرشده الى بعض المراجع التى لم أشر اليها من قبل والتى قد يكون فيها ما يحقق بغيته • ولقد حرصت على ترتيبها بحسب تاريخ صدورها لكى يلمس مدى تطور الدراسة وتبلور الفكرة ، وسوف يفتح له كل مرجع من هذه المراجع الباب على مراجع أخرى كثيرة :

Ahlenstiel-Engel (E.) Arabische Kunst, Breslau, 1923.

Kuhnel (E.), Islamische Kleinkunst, Berlin, 1925.

Migeon (G.), Manuel d'Art Musulman, Arts Plastiques et industriels, 2 vols, Paris, 1927.

Marçais (G.), L'Art de L'Islam, Paris 1946.

Dimand (M.S.), A Handbook of Muhammadan Art, New York, 1947.

زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، القاهرة ١٩٤٨ •

وثمت مراجع أربعة أخرى لاسبيل الى اغفالها فى هذا المجال : الأول هو دائرة المعارف الاسلامية Encyclopedia of Islam وهى باللغات الثلاث الانجليزية والفرنسية والألمانية وقد بدىء بترجمتها الى العربية ولم تتم هذه الترجمة بعد •

والثانى يتناول ماكتب عن الفن الاسلامى والآثار الاسلامية من سنة ١٩٣٥ الى ١٩٣٧ وقد نشره الأستاذ ماير تحت عنوان :

Mayer (L.A.), Annual Bibliography of Islamic Art and Archaeology, 3 vols., Jerusalem, 1935-1937.

والثالث يتناول ماكتب عن تاريخ الشرق الاسلامى وقد وضعه الأستاذ سوفاجيه وهو :

Sauvaget (J.), Introduction à l'Histoire de l'Orient Musulman, Paris 1946

وقد اقتبس من هذا الكتاب الأستاذ صلاح الدين المنجد كتابه المسمى

رائد التراث العربى وطبعته دار العلم للملايين سنة ١٩٤٧ •

والرابع بحث قيّم نشرته المجلة التى تصدر عن قسم الفنون الجميلة

بجامعة متشجن بأمریکا جمعت فيه ماكتب عن الفن الاسلامى ما بين سنتى

١٩٣٩ — ١٩٤٥ :

Ars Islamica, The Department of Fine Arts - University of Michigan,
vols XIII-XIV, XV-XVI, 1951.



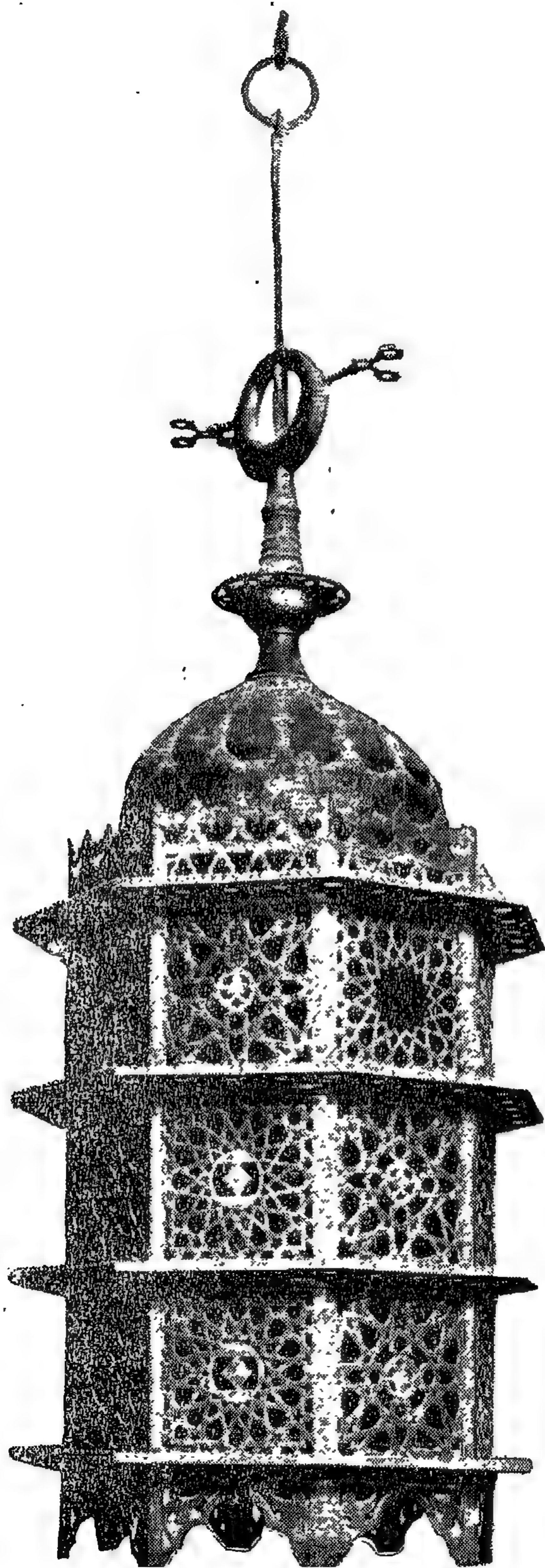
والآن وقد وضعت معالم الطريق ، وأنرت سبيل البحث لم يبق الا أن

أرجو التوفيق لمن أحب أن يرد هذا المنهل ، وقد رأيت أن أختتم هذا البحث

بصورة جميلة لثريا (تنور) من النحاس بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة

وأصلها من مدرسة صرغتمش أحد أمراء المماليك فى مصر (٧٥٧ هـ) •





بيان الاشكال

الفلاف - منبر المسجد الجامع بمدينة القيروان بتونس وهو أقدم المنابر الموجودة ويرجع الى سنة ٢٤٨ هـ ويرى وراءه جانب من المقصورة الخشبية التي ترجع الى سنة ٤٣١ هـ . والصورة من تصوير الاستاذ حسن عبدالوهاب كبير مفتشى ادارة حفظ الآثار العربية .

١ - صورة الكعبة في وسط ساحة الحرم المكي وتبدو عليها الكسوة التي ترسلها مصر كل عام .

٢ - تخطيط لمدينة بغداد كما بناها المنصور سنة ١٤٦ هـ . ويبدو في وسطها القصر والمسجد كما تظهر الطرقات التي كانت تتخللها . والصورة منقولة عن كتاب .

Creswell, Early Muslim Architecture vol. II, Oxford, 1940.

٣ - ايوان المحراب في المسجد الجامع بمدينة قرطبة بالاندلس .
٤ - ساحة السباع في قصر الحمراء بمدينة غرناطة بالاندلس . والصورة منقولة عن كتاب
Kuhnel, Maurische kunst, Berlin 1924.

٥ - عتبة من العاج مؤرخة سنة ٣٥٧ هـ (لا سنة ٣٥٨ كما هو مذكور تحت رسمها) وهي في متحف اللوفر وعليها كتابة كوفية نصها « بركة من الله ونعمة وسرور وغبطة للمغيرة بن أمير المؤمنين رحمه الله مما عمل سنة سبع وخمسين وثلث مائة » . والصورة ليست منقولة عن كتاب كونل ولكن عن كتاب

Jose Ferrandis, Marfiles Arabes de Occidente Tomo I, Madrid, 1935.

٦ - صحن مدرسة العطارين بمدينة فاس بمراكش وقد بنيت في أوائل شعبان من سنة ٧٢٣ هـ بأمر أمير المسلمين أبي سعيد من أمراء بني مرين . والصورة منقولة عن :
Marçais, L'art de L'Islam, Paris, 1946.

٧ - ايوان المحراب بالمسجد الجامع في مدينة تلمسان بالجزائر وقد انشئ سنة ٥٣٠ هـ والصورة منقولة عن المرجع المذكور في الفقرة السابقة .

٨ - صحن ومئذنة المسجد الجامع بمدينة القيروان في تونس ، والمئذنة أقدم المآذن بعد مئذنة قصر الحير وهي ترجع في الغالب الى سنة ٢٢١ هـ . والصورة منقولة عن كتاب كونل المذكور في الفقرة الرابعة .

٩ - منظر تخيلي لرباط مدينة سوسة بتونس رسمه

F. Girouin. Instituteur à Alger ومنشور في :

L'Afrique du Nord Musulmane au Moyen - Age (2e numéro Spécial de l'Ecole Républicaine, 1950-1951.

١٠ - منظر خارجي لقياس النيل بجزيرة الروضة بمصر بعد أن أعادته إدارة حفظ الآثار العربية الى الصورة التي يحتمل أنه كان عليها - والرسم من تصوير الادارة المذكورة .

١١ - المدخل الرئيسى لمدرسة السلطان حسن أحد سلاطين المماليك بالقاهرة وقد استغرق بناؤها المدة من ٧٥٧ الى ٧٦٤ هـ . تصوير ادارة حفظ الآثار العربية .

١٢ - مصباح زجاجى من عصر المماليك يحمل اسم السلطان حسن سالف الذكر ، وقد كان يضىء بواسطة قرأية (كوب) تعلق داخل المصباح ويوضع فيها الزيت والفتيل ويعلق المصباح نفسه بواسطة سلاسل من نحاس تجتمع معا تحت كرة يضاوية الشكل من الزجاج . ويطلق عليه عادة اسم مشكاة اخذا من الآية الكريمة التي تنقش على هذه المصابيح وهى « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجه كأنها كوكب درى » . والصورة منقولة عن :

Wiet Creswell et Hawary, Album du Musée Arabe du Cairo, 1930.

١٣ - منظر خارجي لقبة الصخرة بمدينة القدس فى فلسطين وهى أقدم العماير الاسلامية وترجع الى سنة ٧٢ هـ . والصورة مأخوذة من كتاب : Diez, Die Kunst der Islamischen Völker, Berlin, 1915.

١٤ - زخرفة من الفسيفساء من ارضية احدى غرف الحمام الملحق بقصر هشام فى خربة المفجر بفلسطين - والصورة مأخوذة من : Baranki, Guide to the Umayyad Palace at Khirbet Al Mafjar, Jerusalem 1947.

١٥ - جزء من واجهة قصر المشتى كما هى الآن فى القسم الاسلامى بمتاحف الدولة فى برلين ، والراجح انه من انشاء الوليد الثانى أحد الخلفاء الامويين فى الشرق (١٢٥ - ١٢٦ هـ) . والصورة من : Kuhnlel, Mschatta, Islamische Kunstabteilung.

١٦ - منظر خارجي لقلعة مدينة حلب فى بلاد الشام . وقد رُممت وجددت خلال العصور المختلفة وساهم فى ذلك بعض سلاطين مصر فى عصر المماليك . والصورة منقولة عن : Glück und Diez, Die Kunst des Islam, Berlin 1915.

١٧ - منظر خارجي لمسجد السلطان أحمد (١٠١٢ - ١٠٢٦ هـ) فى اسطنبول ، وتتجلى فى الرسم صورة المآذن الست التي لهذا المسجد . والصورة مأخوذة من نفس المرجع المذكور فى الفقرة السابقة .

١٨ - صورة مرسومة على الجص فى احدى قاعات قصر الجوسق الخاقانى فى سامراء ، وهى تمثل سيدتين ترقصان وقد أمسكت كل واحدة باحدى يديها قنينة طويلة الرقبة وباليدين الأخرى كأسا تصب فيه مما فى القنينة ، وبين الراقصتين وعاء مملوء بالفاكهة ، والصورة منقولة عن : Kuhnlel, Samarra, Islamische Abteilung.

١٩ - آنية من الخزف الايرانى فى متحف اللوفر وهى من عصر الدولة

السامانية وقطرها ١٤ر٥ بوصة والكتابة باللون الأرجواني المائل الى السواد على أرضية عاجية اللون — منقولة عن :

Lane, Early Islamic Pottery, London.

٢٠ — جزء من طنفسة من شرق آسيا الصغرى وترجع الى حوالي سنة ٨٠٣ هـ وهى تعتبر من أقدم الطنافس الاسلامية ، وترى فيها صورة حيوانين خرافيين هما التنين والعنقاء — وهى فى متحف برلين . والصورة منقولة عن : Kuhnel, Orient-Teppiche, Islamische Abteilung, Berlin, 1935.

٢١ — ضريح تيمور فى مدينة سمرقند من الخارج وهو يرجع الى سنة ٨٠٨ هـ . والصورة منقولة عن اللوحة رقم ١٩٦ من الكتاب الجامع للفن الايرانى الذى وضعه بوب بمعاونة عدد كبير من علماء الآثار الاسلامية :

Pope, A. Survey of Persian Art, Oxford- 1938., VI vols

٢٢ — واجهة ايوان المحراب فى مسجد الشاه فى مدينة أصفهان بايران والصورة منقولة عن نفس المرجع المذكور فى الفقرة السابقة (اللوحة ٤٦٥) .
٢٣ — منظر خارجى لضريح تاج محل فى مدينة أجرا بالهند — والصورة منقولة عن المرجع المذكور فى الفقرة (١٦)

٢٤ — المسجد الجامع فى مدينة سيان فو بالصين . والصورة منقولة عن :

Kubnel, Kunst und Volkstum in Islam, (Sonderabdruck aus : Die Welt des Islams, N. S. vol. I, Nr. 4, 1951). E. J. Brill Leiden

٢٥ — صور للبسملة بالخط الكوفى فى عصور مختلفة من رسم المرحوم الاستاذ يوسف أحمد فى سنة ١٣٢١ هـ ، والسطران الاول والثانى من طراز الكوفى فى القرون الثلاثة الاولى بعد الهجرة . والسطر الثالث من الخط الكوفى بمسجد الحاكم ، وبعد البسملة « الله ربى » . والسطر الرابع من الخط الكوفى بمسجد سنجر الجاولى ، وبعد البسملة « الحمد لله » . والسطر الخامس من الخط الكوفى بمسجد السلطان حسن ، وبعد البسملة « رب اشرح لى صدرى » .

٢٦ — نموذج للخط الكوفى المربع من مسجد السلطان حسن « لا اله الا الله محمد رسول الله » . والصورة منقولة عن بحث القى فى المعهد المصرى فى مارس سنة ١٨٩٠ .

Walter Innes, Inscriptions Arabes en caractères carrés.

٢٧ — طغراء السلطان عبد العزيز بن محمود خان المظفر دائما — نقلا عن :

Lane - Poole, Turkey, (The Story of the Nations), London 1888.

٢٨ — جلد كتاب من الاندلس ترجع الى القرن التاسع الهجرى فى متحف الفن والآثار بمدينة برشلونة — والصورة منقولة عن الكتاب المشار اليه فى الفقرة (٤) .

٢٩ — العناصر السبعة الرئيسية التى يتكون منها « المقرنص » . وهى مستمدة من المثلثين والربع المرسومة الى يمين الصورة ، أما الرسم الواضح فى الجانب الايسر فهو يمثل المقرنص بعد أن تكون من هذه الاجزاء ، وهذا الرسم منقول عن :

L'Art Musulman (La Grammaire des Styles) Paris, 1926.

٣٠ - «الأرابسك» أو التوريق كما يرى على القاشاني من تربة فخر الدين على بمدينة قونية من القرن السابع الهجري - والصورة منقولة عن :

Kuhnel, Die Arabaske, Wiesbaden, 1949.

٣١ - تمثال من البرنز يمثل جسم أسد ورأس نسر وله أجنحة صغيرة وعلى صدره ورقبته وظهره ما يشبه الزرد ، وعلى الجزء العلوى من سيقانه دروع صغيرة عليها صورة أسد ونسر وعلى التمثال طراز من الكتابة الكوفية . وهو ينسب الى العصر الفاطمى وموجود الآن فى مدينة بيزا فى (كامبوسانتو) وارتفاعه ١٠٥ سم وطوله ٨٥ سم . والصورة منقولة عن الكتاب الذى ذكرناه فى الفقرة (١٦) .

٣٢ - صعود النبى صلوات الله عليه الى السماء ليلة اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، والصورة موجودة فى مخطوط « المنظومات الخمسة » للشاعر الايرانى نظامى وطولها ٣٠ سم وعرضها ١٩ر٥ سم ، ويشاهد فيها الملائكة سابحة فى السماء تحف بالنبى ويتقدمه جبريل عليه السلام ، وهى من تصوير المصور المشهور سلطان محمد الذى كان يعيش فى ايران فى القرن العاشر الهجرى ، والمخطوط موجود بالمتحف البريطانى والصورة منقولة عن :

Kuhnel, La Miniature en Orient, traduction de Paul Budry, Paris.

٣٣ - نشاهد فى السطر العلوى والذى يليه نصين قوطيين يرجعان على التوالى الى سنتى ١٣٩٩ ، ١٥٠٥ م ، وفى السطر الثالث الى اليمين كتابة قوطية كذلك ترجع الى سنة ١٥٥٠ م وعلى يسار هذه الكتابة القوطية نرى كتابة كوفية فى دار الآثار العربية ترجع الى العصر الفاطمى كما نرى الى اسفل كتابة كوفية من مسجد السلطان حسن ترجع الى عصر المماليك . والصورة منقولة عن :

Legacy of Islam, edited by the Late Sir Thomas Arnold and Alfred Guillaume, Oxford, 1947.

٣٤ - لون هذه العبادة او على الاصح الحرملة ارجوانى ونرى فى وسطها نخلة على جانبيها صورة أسد ينقض على جمل وأغلب الظن أن الرسم يرمز الى تغلب النورماندين على العرب وطردهم لهم من جزيرة صقلية وطراز الكتابة الكوفية الذى يجرى على حافة هذه العبارة منسوج بخيوط الذهب ، والصورة منقولة عن :

Migeon, Manuel d'Art Musulman, vol. II, Paris, 1927.

٣٥ - تمثل هذه التحفة العاجية ملكا على ظهر فيل يحف به حرس من الفرسان ، وعلى خرطوم الفيل رجل قد أمسك بيديه نابى الفيل ، وعلى القاعدة كتابة كوفية نصها « من عمل يوسف الباهلى » . وقد تضاربت الأقوال فى عصرها وفى مكان صنعها (راجع ص ٢٠٠ - ٢٠٢ من كتاب التصوير عند العرب لاحمد تيمور ونشر الدكتور زكى محمد حسن) . والصورة منقولة عن المرجع المذكور فى الفقرة السابقة فى الجزء الاول منه .

كشاف

((أ))

ابن بطوطة ٣٠ ، ٥٦
 ابن جبير ٢٤
 ابن الحبج ٣٢
 ابن خلدون ٣٠ ، ٦٥ - ابن الزبير (عبدالله) ٩٦
 ابن طولون (أحمد) ٣٦ ، ٦١
 أبو بكر (الخليفة) ١١ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٥٩
 أبو جعفر المنصور ١٨ ، ١٩ - أبو عبيد الله
 الأزدي ٣٣
 أبو الفرج الاصبهاني ٤١
 الأتراك ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٧
 أجرا (مدينة) ٥٣
 الأخشيديون ٣٦ ، ٤٠ ، ٤١
 الادارسة ٢٩
 ادريس بن عبد الله ٢٩
 الارابسك ٧٠
 اردبيل (مدينة) ٥١
 ارطغرل ٤٣
 أريحا (مدينة) ٣٩
 اسطنبول (مدينة) ٣٧ ، ٤٤ ، ٧٢
 آسيا الصغرى ٢٢ ، ٢٥ ، ٤٣
 أشبيلية ٢٧ ، ٨٢
 الاغالبية (دولة) ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤
 الاغانى (كتاب) ٤١
 أكبر (الملك) ٥٣
 الامويون ١٧ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ،
 الاندلس ١٥ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٤ ،
 ٦٤ ، ٧٤ ، ٧٧ ،
 ٥٩ ، ٥٥ ، ٤٠
 أوفى (الملك) ٧٦
 ايران ١٧ ، ٢٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ،
 ٥٤ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٨١
 الايلخانية (الدولة) ٥٠
 الايوبية (الدولة) ٣٧ ، ٤٠ ، ٦١
 ((ب))
 الباكستان (دولة) ٥٤ ، ٨١
 بخارى (مدينة) ٤٨
 البصرة (مدينة) ١٣ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٤٦
 بغداد (مدينة) ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ،
 ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٦٠
 البنادقة - البندقية ٤٢ ، ٧٨
 بنو الاحمر ٢٧ ، ٢٨ - بنو حماد ٣٠ -
 بنو حمدان ٤١ - بنو زيري ٣٠ - بنو مرين
 ٣٠ ، ٣١ - بنو بويه ٢٣ ، ٢٤

بيت المقدس ٩ ، ٣٨ ، ٧٤
 البيزنطيون ٥ ، ١٣ ، ٢٢ ، ٤٣ ، ٦٠
 بيعة الرها ٣٩
 بيعة لد ٣٩
 بيمارستان نور الدين ٤٠
 ((ت))

التابستري ٦٥
 تاهرت (مدينة) ٣٠
 تبراز (مدينة) ٥١
 تربة زمرد خانون ٤٥
 التصوير ٢٤ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ،
 ٧٤ ، ٧٦
 تعريب الدواوين ١٧
 التكية السليمانية ٤١
 تلمسان (مدينة) ٣١
 تونس ١٥ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٨١
 تيمورلنك ٤١ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣
 ((ج))
 الجزائر ٣٠ ، ٣١ ، ٨١
 جنكيز خان ٤١
 جيرالدا ٢٧

((ح))

الحج ٦٢
 الحجاز ١١
 حديقة عائشة ٢٨
 الحرير ٣٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥
 حسان بن النعمان ٢٩ ، ٣١
 الحسبة ٦٢ ، ٦٣
 الحفصية (الدولة) ٣٤
 حلب ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣
 حماه ١٤
 الحيرة ١٣

((خ))

خالد بن الوليد ٧ ، ١٩
 الخان ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٧
 خانقاه بيبيرسي ٣٧
 خراسان ١٩ ، ٢٤ ، ٥٥
 خربة المفجر ٣٩ ، ٧١ ، ٧٢
 الخزف ٦ ، ١٢ ، ٢٨ ، ٢٨ ، ٢٨ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٦
 ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٢
 الخشب ٦ ، ٣٧ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٦
 الخط العربي ١٢ ، ٥٠ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٥
 ٧٦
 الخط القوطي ٧٧
 الخط الكوفي ٢٨ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩

الخوارج ٣٠

((د))

دار الشجرة ٢٢

الدرج ٦٦

دلهي (مدينة) ٥٢

دمشق ١٤ ، ١٥ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١

الديبل (مدينة كراتشي الحالية) ٥٢

الديوان ٢٢

((ذ))

الذهب ١٦ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤
٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩

((ر))

الراشدون ١٥ ، ٣٨

الرباط ٣٢ ، ٣٣

رباط الفتح (مدينة) ٣٠

الرسنميون ٣٠

روما ٢٧ ، ٣٦

((ز))

الزجاج ٦ ، ١٠ ، ١٢ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٨ ، ٤٦
٦٠ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٨١ ، ٨٣

الزخارف ٥٤ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٣
الزهراء (مدينة) ٢٧

((س))

الساسانيون ١١ ، ٢٥ ، ٥٥

السامانية (الدولة) ٤٨

سمر من رأي (سامراء) ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٦
٤٥ ، ٦٠ ، ٨٣

السفاح (الخليفة) ١٧ ، ١٨

السلاجقة ٢٢ ، ٢٤ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٦١
٦٦

السلطان (لقب) ٢٤

سليمان (الرحالة) ٥٦

سليمان القانوني (السلطان) ٤١

سمرقند ٥٠

سمنجر (السلطان) ٢٥

سوريا - السوريون ٣٨ ، ٦٩

سوسة ٣٢ ، ٣٣

سيف الدولة الحمداني ٤١

((ش))

الشام ٧ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٨
٣٩ ، ٤١ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٥ ، ٨١

الشاه اسماعيل ٥١

شاه جهان ٥٣

شاه رخ ٥١

شرق الاردن ٣٨ ، ٣٩

شواهد قبور ٣٨

الشيعة ٤ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٥١

((ص))

الصحيقة ٨

الصفوية (الدولة) ٥١

صقلية ٣٤ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٧٩

صلاح الدين الايوبي ٢٧

الصليبيون ٣٧ ، ٤٢ ، ٧٥

صنهاجة (قبيلة) ٣٠ ، ٣٤

الصومعة وصوامع ١٤ ، ١٥ ، ٢٤

الصين ١٥ ، ٢٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧

((ض))

ضريح تاج محل ٥٣

((ط))

طارق بن زياد ٢٥ ، ٢٩

الطغراء ٦٧

الطراز المصري ٦١

طغرل بك (السلطان) ٢٤

طليطلة ٢٥ ، ٨٢

الطنافس ٦ ، ١٠ ، ٢٢ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٦٦ ، ٧٤

٥٤ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣

الطومار ٦٦

((ظ))

الظرف والظرفاء (كتاب) ٢١

((ع))

عاج ٢٩ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٨١

العاصد (الخليفة) ٣٧

عبادة التتويج ٧٨ ، ٧٩

العباد (مدينة) ٣١

العباس ١٧ ، ١٨

عباس الاكبر (الشاه) ٥١

العباسيون ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣

٢٤ ، ٢٥ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٦٠

عبد الحميد (السلطان) ٤٠

عبد الرحمن بن معاوية ٢٥

عبد الرحمن الناصر (الخليفة) ٢٧

عبد الملك بن مروان (الخليفة) ١٦ ، ٢٩ ، ٣٨

عثمان بن عفان (الخليفة) ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٥٥

العثمانيون (الاتراك) ٢٢ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤

٤٧ ، ٥١

العراق ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٦

٤٤ ، ٤٧ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٨١

العرب ٤ ، ٥ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥

١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦

٢٦ ، ٣١ ، ٢٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩

٦١ ، ٧١

عصر النهضة الاوربية ٥ ، ٧٧

عقبة بن نافع ٣١

على بن ابي طالب ٤ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٠

عمان (مدينة) ٣٩

عمر بن الخطاب ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٥٩ ، ٦٢

عمرو بن العاص ٧ ، ٣٥

العملة ١٦ ، ٧٦

((غ))

غرناطة ٢٧ ، ٢٨ ، ٨٢

الغزنويون ٥١ ، ٥٢

الغضار ٥٦ ، ٥٧

غليوم (الامبراطور) ٤٠

((ف))

فاس ٣٠

فاطمة (السيدة) ٤ ، ٢٣ ، ٢٤

الفاطميون ٤ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٦١

الفرس ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢

٤٧ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١

الفسطاط (مدينة) ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨

الفضة ١٦ ، ٢٣ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٧٨

الفن البيزنطي ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧١ ، ٨٣

الفن الساساني ٥٩ ، ٦٠ ، ٧١ ، ٨٣

فلسطين ٣٨

فيروز بن يزدجرد ٥٥

((ق))

القائم (خليفة) ٢٤

القاهرة ٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٦١

قبة وقياب ٦٩ - قبة الصخرة ٣٨ - قبة

الصليبية ٣٨ - قبة قلاوون ٣٧

القبلة ٩

قبر الملك اكبر ٥٣

قتيبة بن مسلم ٥٥

قرطاجنة (مدينة) ٣٣

قرطبة ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٨٢

قريش ٧ ، ٨

القسطنطينية ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ٤٣

قصر الاخضر ٤٧ - قصر بلكوارا (النقور)

٤٧ - قصر الحمراء ٢٨ ، ٧٢ - قصر العاشق

٤٧ - القصر العباسي ٤٥ - قصر العزيزة ٣٤

- قصر القبة ٣٤ - قصر المشتى ٤٠ - قصر

المؤنس ٢٧ - قصر هشام ٣٩ ، ٧١

قصير عمرو ٣٩

قطب الدين ايبك ٥٢

قلعة القاهرة ٣٧

قلعة حلب ٤٢

قونية ٤٣

القروان ١٥ ، ١٨ ، ٣١ ، ٣٣

((ك))

كربلاء ٢٤

الكعبة ١١ ، ٧٨

كنيسة بامبلونا ٨٤ - كنيسة جيرونا ٨٤ -

كنيسة سانت آن ٨٤ - كنيسة سان مارك

٨٤ - كنيسة القديسة صوفيا ٤٤ - كنيسة

القيامة ٣٩

الكوفة ١٣ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٤٦ ، ٦٦

((ل))

لبنان ٣٨

((م))

الماجل (فسقية الاغالية) ٣٣

المأمون (الخليفة العباسي) ٢٢ ، ٤٨

المأمون بن ذي النون ٢٥ ، ٢٦

المئذنة ومآذن ١٤ ، ١٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٥٣

٥٥ ، ٧٥

متحف ومتاحف ٤ ، ٥ ، ٦ ، متاحف اسبانيا

٢٨ ، ٧٢ ، ٨٢ - متاحف المانيا ٨٣ ، ٨٤ -

متاحف انجلترا ٧٣ ، ٧٦ ، ٨٤ - متاحف

ايطاليا ٨١ - متاحف بلجيكا ٨٤ - متاحف

فرنسا ٥٤ ، ٨١ ، ٨٢ - متاحف المجر ٨١ -

متاحف النمسا ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ -

متاحف اليونان ٨١ - متحف الفن الاسلامي

المصري بالقاهرة ٣٧ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٨١ -

٨٦ - متحف المتروبوليتان بامريكا ٧٢

المتنبي (ابو الطيب) ٤١

المتوكل (الخليفة) ٤٦

محراب ومحاريب ١٠ ، ٥٥

محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) ٤ ،

٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٦٢ ،

٦٧ ، ٧٦

محمد بن القاسم ٥٠

محمود الغزنوي ٥٢

المخطوطات ٤٤ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٨٣

مدرسة اينجه مناره ٤٣ - مدرسة السلطان

حسن ٣٧ - مدرسة الصقارين ٣٠ - مدرسة

الصهريج ٣٠ - مدرسة العطارين ٣٠ -

مدرسة العنانية ٣٠ - مدرسة الفردوس

٤٣ - مدرسة المستنصرية ٤٥

المرابطون ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١

مراد (السلطان) ٦٧

مراكش ٢٩ ، ٣٠ ، ٨١

مرو ٤٧

المستعين بالله (الخليفة) ٤٦

المستكفي بالله (الخليفة) ٢٣ ، ٢٤

المستنصر بالله (الخليفة) ٤٤

مسجد ابن طولون ٣٦ - مسجد أبي دلف ٤٧
- مسجد أبي قتيانه ٣٢ - مسجد الازهر
٣٠ ، ٣٦ - مسجد اصفهان ٤٩ - مسجد
الاقمر ٣٦ - مسجد الاموى ١٤ ، ٣٩ -
مسجد جانغ آن ٥٥ - مسجد جوهر شاد
٥٠ - مسجد الحاكم بأمر الله ٣٤ ، ٣٦ -
مسجد دلهى ٥٣ - مسجد الزيتونة ٣٢ ،
٢٤ - مسجد سر من رأى ٤٦ - مسجد
سنان باشا ٣٧ - مسجدسيان قو ٥٦ ، ٥٧
- مسجد الشام (باصفهان) ٥١ - مسجد
الصالح طلائع ٣٧ - مسجد الطاهر بيبرس
٣٧ - مسجد قرطبة ٢٧ - مسجد القرويين
٣٠ - مسجد القصبة ٣٤ - مسجد قوة
الاسلام ٥٢ - مسجد القروان ٣٢ ، ٣٤ -
مسجد الكتبية ٣٠ - مسجد كنتون (خانغو)
٥٥ - مسجد محمد أبو الذهب ٣٧ -
مسجد محمد على ٦١ - مسجد المدينة ٨ ،
٩ ، ١٠ ، ٥٩ - مسجد الملكة صفية ٣٧ -
مسجد ناين ٤٨ - مسجد يزد ٥٠

المشكاوات ٢٨

مشهد آل طباطبا ٣٦ - مشهد الامام الشافعى
٣٧ - مشهد الجيوشى ٣٧ - مشهد (مدينة) ٥٠

المصاييح ١٠ ، ٣٨

مصر ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ،
٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٨ ،
٥٩ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٨١
المعادن ٦ ، ١٠ ، ١٢ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٥٤ ،
٦٢ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٨
معاوية بن أبى سفيان (خليفة) ٣٠
المفتز (الخليفة) ٤٦
المعتصم (الخليفة) ٢٢ ، ٤٥ ، ٤٦
المعتمد (خليفة) ٤٦
المغول ٢٢ ، ٢٥ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١
٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦

المقدسى ٤٦

المقرنصات ٦٩

المقرى ٢٦

المقصورة ١٠

مقياس النيل ٣٥ ، ٣٦
مكة ٧ ، ٨ ، ١١ ، ٦٢
ملوك الطوائف ٢٥
الماليك ٣٧ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٦١
منار قطب ٥٢
المنبر ومنابر ٩ ، ١٠ ، ٣١ ، ٥٥
المنتصر (الخليفة) ٤٦
المنسوجات (واقمشة وقماش) ٦ ، ١٢ ، ٢٣
٣٧ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٣ ،
٧٤ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣
المنصور (الخليفة) ١٨ ، ١٩ ، ٥٥
المهدي (الخليفة) ٢٩ ، ٤٦
المهدي (مدينة) ٣٣
الموحدون ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤
الموسلين ٧٨
الموصل ٤٥ ، ٧٨

((ن))

النحت ٦٢ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦
نقفور فوكاس (الامبراطور) ٤٢
نكتجين (القائد) ٤٩
التورمانديون ٢٤ ، ٧٨

((ه))

هارون الرشيد (خليفة) ٢٢ ، ٤٧
الهاشمية (مدينة) ١٨
هرات (مدينة) ٥١
الهند ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٨١
هولاكو ٥٠

((و))

الوائق (الخليفة) ٤٦
واسط (مدينة) ١٥ ، ١٨
الوشاء ٢١
الوقف ٦٢
الوليد بن عبد الملك (خليفة) ١٧ ، ٣٩ ، ٥٥

((ي))

يثرب (المدينة) ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٥ ، ٣٥
يزد (مدينة) ٥٠

(حقوق اعادة الطبع محفوظة للمؤلف)

فهرس

٤	دراسة الآثار الإسلامية
٧	معالم التاريخ الإسلامي
٢٥	جولة بين الآثار الإسلامية في العالم
٢٥	في الأندلس
٢٧	في مراکش
٣٠	في الجزائر
٣١	في تونس
٣٤	في صقلية
٣٥	في مصر
٣٨	في الشام
٤٣	في آسيا الصغرى
٤٤	في العراق
٤٧	في إيران
٥١	في الهند
٥٥	في الصين
٥٨	الفن الإسلامي وعوامل نموجه
٧٤	تسرب الفن الإسلامي الى أوروبا وأثره في فنونها
٨٠	متاحف الفن الإسلامي في أوروبا
٨٥	خاتمة
٨٨	بيان الأشكال
٩٢	كشفاف

الناشر
دارالمعارف بالاسكندرية

76

9b



Bibliotheca Alexandrina